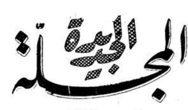
صاحبها ومحررها
سلامه موسى
المجلد السادس



العدد الثالث
من
السنة الخامسة

مارس سنة ١٩٣٦

سير الحوادث

في رئيس الوزارة صاحب الدولة على ماهر باشا ذكاء كثيرا مايبعثه على الجراءة الموفقة . وهذا الذكاء هو الذى بعثه أيام كان وزيراً للمعارف على أن ينقح التعليم الثانوى تنقيحا كاد يشبه الانقلاب إذ أدخل مواد جديدة منيرة مثل نظرية التطور لو أنها بقيت الى الآن بالمدارس لأخرجت لنا جيلا جديدا من الشباب. ولكن يجب أن نقول مع الاسف أن بعض الوزراء الذين تولوا بعد هذه الوزارة جعلوا هذا الاصلاح دون ماكان يقصد منه مبتكره . ولذلك لم تعد له القيمة الاولى

وهذا الذكاء نفسه هو الذى وفقه فى الشهر الماضى الى حل معضلة من تلك المعضلات التى لاتحدث الا فى مصر حيث الميدان ينفسح لتنازع سلطات وأهواء لاوجود لها ولا معنى لها فى قطر آخر . فقد تعقدت العلاقات بشأن المفاوضة بيننا وبين بريطانيا تعقدا كدنا نعتقد أنه يحتاج الى معجزة للحل . ولكن على ماهر باشا استطاع أن يوفق بين نحو عشرة أهواء متضاربة وأن يصل بينها الى « القاسم المشترك الاعظم » وأن يؤلف بذلك وفدا رسميا للمفاوضة من جميع الاحزاب. ولم يحدث قط فى تاريخ علاقتنا ببريطانيا أن توالت ظروف تجعل كلا الفريقين يطلب الاتفاق برغبة اكيدة واخلاص صادق . فمن الجهة الواحدة قد أكد لنا موسولينى ضرورة المحالفة الحربية مع دولة قوية مثل بريطانيا لكي نأمن على أنفسنا من أن تندمج يوما ما فى « الدولة الرومانية » التى يتخيلها ويعد العدة لكي يحققها ولكي لاتصبح الاسكندرية «ميناء ايطالية» كما يقول الفاشيون. ومن الجهة الثانية قد ثبت للانجليز أن السودان يحتاج للمصريين وأن اخراجهم منه سنة ١٩٢٤ كان غلطة كبيرة يمكن تصحيحها الآن

ووفد المفاوضة الذى يرأسه صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا ويضم بين أعضائه اكثرية من الوفد المصرى قد حاز رضاء الجمهور . وهذا الرضاء يكسبه قوة وحرية معا . وخلف الوفد وزارة لايجد عضو من أعضائها غير الاحترام والثقة من أفراد الشعب . وهذه جميعها ظروف تجعلنا نتفاءل بان المفاوضة ستنتهى الى عقد معاهدة قريبة . بل نظن أنه يجوز لنا أن نقول انه اذا كانت هذه الظروف المحيطة بنا الآن وماحل بالبلاد فى السنوات الاربع أو الخمس السابقة للوزارة ، لاتكفى لأن نقدر قيمة المعاهدة وتنتهى بالاتفاق المنشود ، فان المستقبل لن يتيح لنا فرصة أخرى تفضل الفرصة الحاضرة كما أننا نقيم الدليل لانفسنا وللعالم على أننا لم نتعلم من اختباراتنا السابقة

وقبل أسبوعين ألقى اسماعيل صدقى باشا خطبة فى نادى حزب الشعب قال فيها انه يدعو الى دستور سنة ١٩٣٠ لانه خير للبلاد من دستور سنة ١٩٢٣ . فاذا كانت لنا عقول فلنعقل ولنتفق ولننته من المعاهدة

قضية الدين

كان حكم المحكمة المختلطة فى الشهر الماضى باعثا للسرور العام . فقد قضت هذه المحكمة ـ بهيئة الاستئناف ـ بانها غير مختصة بالنظر فى القضية التى رفعها صندوق الدين على الحكومة يطلب منها أن تؤدى الاقساط المطلوبة منها عن الدين العام بالذهب بدلا من الورق

وجاء هذا الحكم مطابقا للعدل . فان حكومة فرنسا انزلت الفرنك الى ربع قيمته وسددت ديونها فلم تعترض عليها دولة أو فرد دائن . وفعلت فعلها دول أخرى

والجنيه المصري لم ينزل الا الى ٦٠ فى المائة من أصله . وكان يمكن الدائنين الذين يعرفون جبرية الازمة الاقتصادية العالمية أن يدركوا عدالة مركزنا ويمتنعوا عن رفع هذه الدعوى . ولكن هؤلاء الدائنين يحتفظون بتقاليدهم التى ورثوها عن أسلافهم هؤلاء الآلاف العظام الذين جعلونا نقترض منهم القرش فنرده جنيها كاملا . . .

والمتأمل للدول المدينة فى اوربا وعجزها عن أداء ديونها بل احيانا امتناعها عن الاداء مع القدرة عليه ، لايسعه الا التساؤل : لماذا لاتشرع حكومتنا فى مفاوضات تؤدى الى خفض هذا الدين . فان عرض تاريخه ـ كما هو مدون فى كتاب خراب مصر ـ يكفى لان يبعث الاستنكار عند كل اوربى أو أمريكى منزه عن الغرض . ونحن بعد المعاهدة سنجد أمامنا مشكلات اجتماعية

واقتصادية كثيرة تحتاج الى الانفاق . والامة فقيرة لاتتحمل زيادة التكاليف بفرض ضرائب جديدة . فلو خففت عنها اعباء الدين العام بعض الشيء لكان فى هذا التخفيف مايقويها على الاصلاح

الريف المصرى

خبران عن الريف المصرى أحدهما حسن والآخر سيء

فأما الحسن فهو تعيين وكيل جديد فى وزارة الداخلية لكى يختص بدرس الشئون القروية التى تؤدى الى الترقية الاجتماعية للقرية . وسيكون له مجلس استشاري مؤلف من الخبراء الذين يعرفون حال الفلاح الحاضرة ويرغبون فى رفع مستواه الصحي والاجتماعي . وهذا خبر نزفه مع السرور الى القراء . فان عناية الحكومة كانت الى الآن تتجه نحو ترقية الارض دون ترقية الفلاح وقد أنفقت الملايين من الجنيهات على زيادة الخصوبة وزيادة الماء للارض ولم ينفق شيء على مساكن الفلاحين . ولذلك نعد انشاء هذه الوكالة الجديدة فألا حسنا للمستقبل

أما الخبر السيء الثانى فهو عجز المزارعين عن سداد الاقساط المطلوبة منهم للبنك العقارى . وهذا العجز يزداد خطورة لانه جاء بعد التسوية الاخيرة الحسنة . وجميع الامارات تدل على أن هذه المسألة تحتاج الى درس جديد . وربما تكون احالة جميع الديون العقارية الزراعية على الحكومة خير حل يمكن الاهتداء اليه فى النهاية

المعرض الزراعى الصناعى

كان المعرض الزراعي هذا العام برهانا على تطور البلاد الاقتصادى . فان الزراعة تقهقرت بعض الشيء فى حين برزت الصناعة وتقدمت . وقبل نحو ثلاثين عاما لم يكن فى البلاد سوى الصناعات اليدوية ولم يكن يعرض منها فى المعرض سوى القليل التافه الذى يقصد منه الى ترويح المتفرجين . أما هذا العام فان المعروضات الصناعية تدل على صناعات آلية راسخة . وشركات بنك مصر هى المحور لهذا التطور الذى نرجو أن يرقى ببلادنا رقيا اجتماعيا كما هو اقتصادى . ويرى المتفرج أقمشة مصرية تخرج من المحلة الكبرى لاتقل متانة أو جمالا عن أقمشة منشستر . وهى ليست طرفا تقتنى لغرابتها أو ندرتها بل أنسجة مفيدة تتحمل الابتذال الطويل . والمتأمل للمعروضات الزراعية لايجد أنها تقدمت فى الثلاثين أو الاربعين من السنين الماضية بل ربما تأخرت

كما هو واضح فى القطن الذى انحط مقدارا ونوعا . ولهذه الحال مغزاها . فان الامة الزراعية هى أمة راكدة بركود زراعتها . والامة الصناعية دائمة التطور

جميل صدقى الزهاوى

توفى جميل صدقى الزهاوي . وبوفاته يخسر العراق بل الشرق العربى باجمعه رجلا حرا كان يطلب التجديد أيام لم يكن فى هذا الشرق مجدد واحد . وفى سنة ١٩٢٨ زار مصر وعهد الى صاحب هذه المجلة طبع كتاب شرط عليه فيه ألا يخرجه الا بعد وفاته . وهذا الكتاب هو «نزغات أبليس» . وسننظر فى طبعه هذا الشهر

وكان الزهاوى يحسب نفسه شاعراً . ولكن الحقيقة انه كان مفكرا . ولذلك كانت أبياته باردة برود العقل قلما تعرف حرارة العاطفة . وقد جاء فى آخر قصائده التى ألقاها بالعراق هذه الابيات التى تدل على نزعته التجديدية

ان العروبة لا تريد … مجداً له عهد بعيد
بل انها تبغى جديدا … والجديد هو المفيد
الخير فى المجد الطري‍ … ‍ف فقد قضى ذاك التليد
ولقد يبيد ذوو العرو … بة والعروبة لا تبيد
قـل للعروبة أسرعى … لا ينفع المشى الوئيد
واذا العتاد أردته … فالنار عندك والحديد
والى شهيد ان يكن … بك حاجة فانا الشهيد
أما الجنود فانما … كل الشباب هم الجنود
عن حقه كل على قـ … ـدر استطاعته يذود
وابز من هذا وذا … ك الصدق والرأى السديد

الحبشة وأيطاليا

ليس شك فى أن الايطاليين أوقعوا بالاحباش وهزموهم فى المعركة التى التحموا فيها بهم فى الميدان الشمالى فى الشهر الماضى . وكادت تكون هذه المعركة مذبحة ذبح فيها الاحباش المساكين اذ حصدتهم المدافع حصدا . وليس للايطاليين أن يفخروا بهذا النصر الذى يثبت توحشهم

ودناءتهم وخستهم فى حرب باغية يعتدون فيها على امة ضعيفة تكاد تكون عزلاء بالمقابلة الى العدد الحربية التى تعتد بها ايطاليا

ونقول هذا ونحن لا يداخلنا شك فى أن الايطاليين لن ينجحوا فى الاستيلاء على الحبشة . وذلك لان هذا الاستيلاء يعنى موت عصبة الامم ولن ترضى أوربا بموتها . ولان الاحباش يستطيعون أن يصمدوا لهذا العدو على الاقل ثلاث أو أربع سنوات . وفي خلال هذه المدة تكون الثورة قد نشبت فى ايطاليا للتخلص من نير الفاشية

ثم هناك احتمال آخر هو ان حظر البترول ربما يوقف الحرب فجأة أو يوقع ايطاليا فى حرب اوربية جديدة تخرج منها منهزمة وتسحب جميع جيوشها التى بالحبشة

العسكرية اليابانية

نكتب هذه السطور والثورة ناشبه فى اليابان . فان العسكريين يريدون الغاء البرلمان واقامة حكومة عسكرية ترصد أموال الدولة للجيش وسائر القوات . ثم تشرع الحكومة فى الاستيلاء على الصين ولاتبالى أن تصطدم بروسيا أو الولايات المتحدة

والعسكريون اليابانيون يجهلون شعور العالم نحوهم وهو شعور المقت لانه يعرف الحال التعسة التي يعيش فيها سواد الامة لكى ينفق العسكريون ملايين الجنيهات على خطة التوسع التى يتخذونها فى الصين . وفى اليابان حركة تدعى « آسيا للاسيويين » وهي تعنى فى لبابها أن آسيا لليابانين وترى علاماتها فى الحرب الجائرة التى يعنها هؤلاء العسكريون على الصين التعسة . وأرجح الظن أننا سنرى حكومة ديكتاتورية فى توكيو . ثم تليها حرب بين اليابان وروسيا . وفى هذه الحال يبعد جدا أن تسكت الولايات المتحدة . وهذا المستقبل الاسود لايراه العسكريون اذ هم يحسبون أن العالم يعجب بهم لانهم خلفاء طبقة الساموراى التى كانت تحكم اليابانيين وتستبد بهم قبل أن تنهض حوالي سنة ١٨٦٠

بافلوف

توفى العالم السيكلوجي الروسى بافلوف . وقراء هذه المجلة يعرفون انه كان يقوم بتجارب فى الكلاب انتهى منها بان التفكير هو انعكاسات معدولة . وهو يمثل النظر المادى الصرف للسيكلوجية

وأن كل الاعمال العقلية هي تنبيه واستجابة . وستعد تجاربه في الكلاب مرجعاً يعول عليه في السيكلوجية كما يعد « أصل الانواع » مرجعاً للبيولوجية .

وقد وجد السلوكيون الذين يتزعمهم واطسون في تجارب بافلوف ما يؤيد مذهب السلوكية ولسنا نسلم بان واطسون او بافلوف قد عرفا كنه « النفس » الانسانية . بل هما ينكران هذه اللفظة . ولكنا نسلم بأن النظر المادي والاعتماد على التجربة يؤديان على الدوام الى نتائج مفيدة . وهذا التسليم لا يمنعنا من أن نقول أن نظر فرويد او يونج أو ادلر أو كوهلر للنفس الانسانية أدق وأعمق من نظر هذين الماديين . وسنتناول هذا الموضوع بالشرح في الشهر القادم

هديتا هذا العام

سنهدي هذا العام كتابين الى مشتركي المجلة الجديدة (الشهرية) هما

١ — مصر القديمة وأثر ثقافتها في الاغريق للاستاذ عبد القادر حمزه وهو يزيد على ٢٠٠ صفحة من قطع المجلة

٢ — برنارد شو لسلامه موسى . وهو درس عميق لهذا المؤلف مع الالتفات خاصة الى ارائه الاجتماعية . وهو لن يقل عن مائة صفحة من قطع هذه المجلة

والادارة ترجو جميع المشتركين أن يسددوا اشتراكاتهم المتأخرة منذ العام الماضي ويجددوا اشتراكاتهم هذا العام

البترول فى العالم

عرف الشرقيون البترول وذكره العرب باسم النفط ولكنهم لم ينتفعوا به . بل كانت منابع البترول التى عرفها الفرس والاتراك والعرب آخر ما انتفع به الانسان مع أنها أول ماعرف من البترول على وجه الارض . وللبترول فى عصرنا قيمه الفحم فى القرن الماضى فان عليه يعتمد الطيارون فى الوقود الذى يستعمل للطائرات كما يعتمد عليه غيرهم فى وقود الاتومبيلات والسفن الموطرية

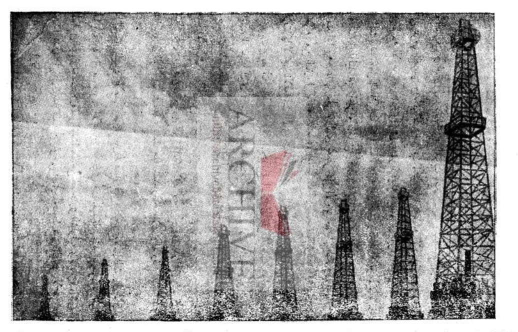
وقد قبلت ايطاليا جميع الجزاءات التى وقعتها عليها عصبة الأمم لاعتدائها على الحبشة ولكنها تهدد بالحرب اذا وقع عليها الجزاء الذي يحظر على الامم اصدار البترول اليها وذلك لأنها تعرف أنه حين تحرم من البترول ومشتقاته تعجز عن متابعة الحرب إذ لاتجد الوقود للطائرات أو الاتومبيلات كما لاتجد الاسفلت الذى تمهد به بعض الطرق الكبرى فى الحبشة

وقد نجحت بريطانيا والمانيا فى استخراج البترول من الفحم . وليس بعيداً أن تستغنى كل منها عن استيراد هذا الوقود من منابعه الطبيعية بعد سنوات قليلة بل ليس بعيداً أن تنخفض تكاليف صناعته باستخراجه من الفحم الى أن يعود مزاحما قويا للبترول المستخرج من المنابع . بل ربما هذا الاحتمال هو المرجح لأن المنابع تستنفد اما الصناعة فلا حد لها . ومقادير الفحم كبيرة جدا لاينتظر لها نفاد قريب . ويرى القارىء فى الرسم البيانى المرافق أن مخزون البترول لايزال كبيرا جدا . وان الولايات المتحدة تملك منه مقدارا هائلا . والارقام هنا محسوبة بملايين البراميل

***

وهذا الشكل البيانى لايذكر مصر بين الاقطار التى يستخرج منها البترول لان منابعه عندنا صغيرة لا قيمة لها بالمقابلة الى منابعه فى الاقطار الاخري وجميعها تقع عند البحر الأحمر . و مماهو ذومغزى أن جميع المعاون التى وجدت فى مصر تستنبط من الصحارى الشرقية ولايعرف شىء منها فى الصحارى الغربية وهذا يدل على أن للحادث الجيولوجى الذي أحدث شق البحر الاحمر علاقة بهذه المعادن أى بمناجمها فى جواره

ولا يستطيع أحد أن يقول كيف نشأ سائل البترول . فان الفحم يعرف اصله لان الاشجار القديمة التى استحالت اليه أي تفحمت لاتزال أشكالها وأوراقها وأغصانها ترى على صخور الفحم . ولكن ليس هناك شىء يدل على أصل البترول . وكل مايمكن أن يقال وهو لايزيد على الحدس هو أن البترول نشأ من انحلال الاسماك وسائر حيوان البحر فى برك منقطعة طمستها الرمال أو الصخور



الولايات المتحدة	روسيا	العراق	ايران	فنزويلا	مستعمرات هولندا	رومانيا	مكسيكا
٢٤٥ر١٤	٣٤٤ر٣	٤٨٥ر٢	٣٨٠ر٢	٦٤٥ر١	٩٣٠	٧٩١	٢٤٥
مليون برميل	مليوث برميل	مليوث برميل	مليون برميل	مليون برميل	مليون برميل	مليون برميل	مليون برميل

حمورابي ملك بابل

بقلم العالم الأثري جيمس برستد

بعد حروب كثيرة طالت مدتها قرنا من الزمان ارتقى الى اريكة الملك حمورابي الملك السادس من الاسرة الامورية في بابل سنة ٢١٠٠ ق. م. فوجد في المدن السومبرية التي كان قد تضاءل شأنها في الجنوب قوما يعرفون بالعيلاميين كانوا قد دخلوا البلاد قادمين من عيلام في الجبال الشرقية فحاربوه وظلت الحرب بينهم وبينه سجالا مدة ثلاثين سنة انتصر في نهايتها عليهم نصرا مبينا فطردهم من البلاد واستولى على المدن السومبرية وجعل لاول مرة بابل قاعدة ملكه سيدة مدائن البلاد. وما نالت بابل هذه المنزلة الساميه من السؤدد والنفوذ ودعيت البلاد كلها باسمها الا بعد سنة ٢١٠٠ ق. م. ومن ذلك الوقت فصاعدا بقيت مدينة ذات شأن

وعاش حمورابي بعد انتصاره هذا اثنى عشرة سنة كانت سني سلام برهن في أثنائها كما برهن في سني الحرب على انه — بلا جدال — اقدر ملوك الاسرة التي ينتمي اليها. كان سرجون أول ملك قدير عظيم قام فيها وكان حمورابي ثانيا له عظمة واقتدارا. وكان اسلافه قبل هذا العهد ببضعة أجيال. كاسلاف سرجون، يترحلون في البادية متنقلين من مكان الى مكان بلا ترتيب ولا نظام في رحلاتهم. ومن البينات على أصله البدوي حلقه الشعر عن شفته العليا. لان ذلك عادة قديمة لاهل البادية. وبعد ان استولى على مدن بلاد بابل المكتظة بالسكان جعلها في زمن قصير مثال الترتيب والنظام الذين لم تر لها مثلا فيما انقضى من تاريخها. وأما المصدران الخصوصيان اللذان نستقي منهما معلوماتنا عن ملك حمورابي فهما رسائله الخمس والخمسون والاثر الفخم الذى نقشت عليه شرائعه. وقد قاومت هذه الآثار الثمينة عوامل الطبيعة اربعة آلاف سنة لكي تعلن لنا أعمال هذا الملك العظيم واخلاقه

ان رسائل حمورابي تتيح لنا أول مرة في التاريخ ان نلقي نظرة على حياة ملك شرقي قدير وهو في مكتبه بقصره في بابل وكاتبه جالس الي جانبه مستعدا ان يكتب الرسائل التي كان سيده مزمعا ان يمليها عليه. وهي تتضمن اوامره ونواهيه لعماله في المدن السومبرية القديمة الخاضعة الآن

له و كان الـكاتب يكتب بقلم من قصب يحفظه فى محفظة جلد منوطة بمنطقته ، على أجرة صغيرة يملأها من الـكتابة المسمارية بسرعة وبعد أن ينجز الـكاتب ما أمر بـكتابته كان يذر على الاجرة الرطبة قبضة من التراب الناعم الناشف لـكى لا يلصق غلاف الرسالة بالـكتابة التى على وجه الاجرة الطريه ويكتب العنوان على الغلاف الاجرى . ثم يرسل ما كتبه الى الفرن (الـكوشة) ليشوى

وكانت الرسائل تأتى الملك من الجهات تترى مكتوبة ومغلفة كالتى كان يرسلها هو الى عماله فـكان أمين سره يـكسر غلافها فى حضرته ويتلوها على مسمع منه وبعد أن يسمعها ويعيها كان فى الحال يملى عليه أجوبتها . وكتب اليه حاكم لارسا مرة أن السيول طغت وأوقفت بطغيانها سير السفن فى الفرات لـكثرة ما رسب من الاتربة فى مجراه فـكتب اليه حالا أمرا بوجوب كرى النهر بلا امهال لـكى يعود صالحا للملاحة

وكان الملك شديد الاهتمام بقطعانه الـكثيرة كأن ميكروب الغريزة البدوية لم يتلاش من دم عشيرته فـكان يصدر اوامره الى عماله فى الجهات وموظفى المملـكة بأن يحضروا الى بابل احتفاء بجز الغنم حاسبا ذلك عيدا عظيما . وحدث مرة أن الشهر القمرى لم يوافق الفصل الشمسى المعين لجز الغنم — ومعلوم أن الشهور القمرية دوارة — فارسل الملك اذاعة الى جميع عماله بها يأمرهم بأن يسموا الشهر المذكور ايلول الثانى

وانذر الملك الحاكم بأنه لا يجوز تأخير جمع الضرائب المستحقة الاداء فى الشهر الثانى بسبب الاصلاح الذى أدخل على التقويم بزيادة الشهر وذكر الجباة المقصرين بوجوب تسديد حساباتهم بلا تأخر . . وكان يعاقب بشدة كل من يأخذ رشوة مهما كان مركزه فى مملـكته . قيل انه مرة حمى غضبه على ثلاثة من رجال البلاط الملـكى فاصدر امرا بالقبض عليهم وكان هو يملى الأمر على الـكاتب قاطبا مغيظا . وكتب الى حاكم لارسا غير مرة مذكرا اياه بوجوب الاهتمام الـكلى فى تنفيذ الاوامر الملـكية بالسرعة المقتضاة

وكم من صاحب دعوى كان يرفع دعواه الى مجلس الملك حين لم يكن ينصف فى مجالس القضاة وملء صدره الامل بأنه يعامل بالعدل فلم يخب أمله وصدرت اوامر ملـكية لرئيس خبازى الهيكل بالذهاب الى أور لمشارفة مأدبة دينية كان فى النية اقامتها فيها فوجد ان استدعاءه للقيام بهذه المهمة يقع فى الوقت الذى ترى فيه دعوى له فى المحكمة . فالتمس من الملك تأجيل رؤية الدعوى . فيظهر من ذلك أن الملك كان يهتم بالولائم الدينية اهتمامه بالعدل فى القضاء ويفهم من كثير من

رسائله التي كان يمليها على كتبته انه كان يهتم باوقاف الهيا كل وبادارتها اهتماما دائما

وكان هذا الملك حازما نشيطا نافذ البصر في جميع شؤون مملكته من اقصاها الى أقصاها فارتأى أن يوحد الشرائع التي كانت شائعة في زمانه مع ماكان بينها من التناقض ويوفق بين العادات والتقاليد التجارية في مملكته . ولذلك جمع لديه كل الشرائع المكتوبة القديمة وما جرى عليه أهل المملكة في عرفهم التجاري واصطلاحهم الاجتماعي ونسقها تنسيقا جميلا . أصلح الشرائع القديمة بالزيادة عليها أو الحذف منها وحيث رأى داعيا الى سن شرائع جديدة سنها . ثم ألف منها كتابا ضخما سمي دستورا أو مجموعة قوانين ولم تكن هذه الشرائع مكتوبة باللغة السومرية كالشرائع القديمة التي كتبت قبلها بل بلغة الاكديين والاموريين السامية . ثم أمر بنقشها على عمود جميل من الحجر كان منقوشا على أعلاه مشهد يمثل الملك وهو يتناول الشريعة من الاله «الشمس» ثم نصب عمود الدستور الجديد في هيكل الاله العظيم مردوخ في بابل وبقي الى زماننا الحاضر وهو أقدم مجموعة من الشرائع القديمة حفظت الى أيامنا

ان شرائع حمورابي تحض كثيرا على وجوب اجراء العدالة للارملة واليتيم والمسكين إلا أنها أبقت على كثير من الافكار والمبادىء الفطرية المتعلقة بالعدالة . وأشهر تلك المبادىء وأظهرها هو المبدأ القائل بوجوب مقاصة المجرم بمثل ماجنت يداه وهو مبدأ « العين بالعين والسن بالسن » ولكن كثيرا ماتكون عاقبة هذا المبدأ الظلم والعسف . مثلا اذا سقط بيت وقتل بسقوطه ابن صاحبه وجب أن يقتل ابن بانيه البرىء أخذا بالثأر . وقد كان للزواج قبل حمورابي علاقة محكمة بموجب اتفاقات شرعية بين الرجل وزوجته . ولكنه عدلها ونسقها وضمها الى شرائعه . وكانت منزلة المرأة في العالم البابلي القديم سامية كما كانت في مصر فكان النساء يتعاطين الاعمال التجارية وسواها لحسابهن الخاص مستقلات . ويقمن مقام الكتبة الفنيين وكان لابد لهن من الاستعداد اللازم لذلك في مدرسة

وبعد أن تنظمت أحوال المملكة البابلية على نحو مامر آنفا جرى السكان شوطا مهما في مضمار التقدم والنجاح لم يتسن لهم مثله من قبل . وكان معظم محاصيلهم من الزراعة وخصوصا الحنطة والتمر . وكان لديهم كثيرا من قطعان الغنم والمعزى وأصورة البقر فحصلوا منها على منافع جمة من صوفها وشعرها وجلودها . وكانت حياكة الصوف رائجة جدا لشيوع لبس ثياب الصوف في آسيا الغربية . وكان قد بطل الآن استعمال النحاس لقيام البرونز مقامه . وفي بعض المكتوبات

اشارة الى الحديد ولكنه كان لايزال نادرا ولم يكن استعماله فى الصناعة فى حيز الامكان لغلاء ثمنه . ولم يشع استعماله فى الاعمال العادية إلا بعد زمن حمورابي بالف سنه

وكان للمملكة فى زمن حمورابي جيش منظم يقوم بحماية الثغور وتوطيد الامن فى البلاد . وكان الامن ناشرا أعلامه حتى كانت قوافل الحمر تسير على رسلها حاملة سلع التجار الى مختلف المدن والاقوام الذين رغب تجار بابل فى الاتجار معهم ، وكان هؤلاء كثاراً جداً على ضفاف الفرات العليا ، ومن تلك المدن مدينة حاران المشتقة الاسم من اللفظة البابلية التى معناها سفرة ، وكانت بالات البضاعة فى أفنية المنازل ركاماً مركوماً بعضها فوق بعض وعلى كل منها ختم صاحبها ليدل على اسمه وحين فتح البالات كانوا يكسرون ختومها ويطرحونها على الارض ولذلك يشاهد كثير من تلك الختوم بين أنقاض المدن البابلية على ما أفادنا الاثريون الذين جمعوا مارأوه منها بين الانقاض ، وكان لايزال اسماء اصحابها ظاهراً على وجهها الواحد وأثر الحبل على وجهها الآخر

كان تجار مدن سورية والبلاد التى وراء مضائق الجبال الشمالية مضطرين أن يقرأوا الختوم التى كانت على البالات والقوائم التى كانت ترسل معها ، فنتج عن ذلك ان انتشرت الكتابة المسمارية تدريجا فى آسيا الغربية حتى صار التجار السوريون بعد أمد يسير يكتبون رسائلهم وقوائمهم التجارية على الاجر كتجار بابل أنفسهم وطارت شهرة حمورابي التجارية فى جميع الارجاء الغربية المعروفة فى ذلك العهد ، وبقى ذكره حياً بين يهود سورية وفلسطين حتى بعد مرور الف سنة على وفاته أو يزيد

وكان تجار بابل أصحاب حول وطول حتى كان منهم فى بعض المجتمعات الحكام أصحاب الامر والنهى ، وكانت الهياكل ذات الاملاك الشاسعة مركز الحياة التجارية ، فكانت تعقد للتجار القروض وتتعاطى التجارة وتدير أراضى متسعة

ولم تكن النقود المسكوكة قد عرفت بعد ، فكانوا يثمنون الاشياء بقطع من الفضة ذات أوزان معلومة كان تداولها شائعاً بين أهل ذلك الزمان ، فكانوا يقولون مثلا « ثمن هذا الثور كذا أواق من الفضة » الا أنهم استعملوا الشاقل بدل الأوقية ، وكان عقد القروض شائعاً ايضاً فيما بينهم معماكان عليه معدل الفائدة من الفحش — عشرين بالمئه على أقل تعديل ، وكانت

القروض توفى نجوما وأقساطا شهرية ، أما الذهب فكان قليل الاستعمال لغلاء قيمته بالنسبة الى الفضة

كان لمصالح التجارية عند البابليين الشأن الاول والمنزلة الرفيعة حتى فى أمور دينهم ، فقد رأينا قبل أنه كان لسدنة الهياكل مركز مهم فى الحياة التجارية وقد ألهاهم شغفهم بالتجارة عن واجباتهم نحو المساكين والمستضعفين ونصرتهم حين كان يتصدى لاذلالهم والاجحاف بحقوقهم أهل النفوذ وأرباب الثروة . وكانت غايتهم الاولى والعظمى من الدين جر المنافع المادية من الالهة وجعل أنفسهم فى حرز حريز من غضبها وسخطها ، وكانت طقوسهم الدينية تدل على أنهم كانوا يشعرون بخطاياهم وعدم استحقاقهم لمراحم الالهة

وكان الشعب لايزال يقدم عبادته لالهة السوميريين القديمة ولكن تفوق بابل السياسى مكن أهلها من تبوئةمرودخ آلههم السامي المقام الاول بين الالهة وجعل اسمه فى الاساطير القديمة مكان اسم انليل إله السوميريين القديم صاحب المنزلة الاولى وبوئت عشتاروت إلاهة الحب الاسيوية أسمى منزلة بين الالاهات وصارت إلاهة بابل العظمى ، ثم اجتازت الى سواحل البحر المتوسط . وصارت افروديت اليونان

وكان فى عداد المنافع التى أنعمت بها الالهة على بعض الناس فى ذلك الزمان البعيد المقدرة على الانباء بالمستقبل أي العرافة ودعى الذين مارسوا العرافة عرافين وكان مهرتهم يدعون أنهم يفسرون العلامات السرية التى على كبد الشاة المعدة للمحرقة ، وكان الذين يأتون اليهم لكى يستعلموهم أسباب مادهاهم من الهم ومناهم بالقلق ، يوقنون بأنهم قادرون على هتك ستار المستقبل ومعرفة ما خبأته لهم الاقدار ، وكان أولئك العرافون يرصدون النجوم الثابتة والسيارة معتقدين أنهم بذلك يدركون قضاء الآلهة من جهة المستقبل ، والظاهر أن اعمال العرافه اتصلت الى الغرب بدليل ان قراءة العلامات السرية على كبد الشاة كانت شائعة فى رومية وتطورت العرافة تدريجا مع كرور الايام حتى صارت علما قائما بذاته عرف بعلم التنجيم وهو أبو علم الهيئة الحديث. واقتبس اليونان علم التنجيم ومارسوه آمادا طوالا وبقيت منه بقية بينهم حتى زماننا الحاضر

ورأى البابليون ان المدارس ضرورية لتربية الشعب واعداد الشبان لتولى أمر الكتابة فى المحال التجارية الكبرى ، وكانت مدارسهم فى الغالب ضمن الهياكل أو متصلة بها ، وقد وجد ن آثار مدرسة فى اطلال بابل ، منذ عهد حمورابى ومن تلك الآثار ألواح الاجر التى

كان الطلبة من الجنسين يكتبون عليها الفروض المدرسية منذ أربعة آلاف سنة ، وجدت مطروحة على أرض المدرسة ، ومنها علم كيف كان الولد فى ذلك العصر البعيد يقاسى التعب فى حفظ ثلاث أو أربع مئة علامة رمزية وكتابتها حال كون التلميذ عندنا لايضطر ان يتعلم اكثر من ثمانية وعشرين حرفا

كان الدفتر الذى يكتب فيه التلميذ تمارينه المدرسية اجرّة ملساء يستطيع أن يمحو ما يكون قد كتبه عليها بمسح وجهها بشحفة أو شظية من حجر أو خشب ، وكان قلمه قصبة مبرية يرسم بها على الاجرّة صفوفا من الاسافين بعضها أفقى وبعضها عمودى والبعض الآخر مائل ولكن كل منها مستقل عن الاخر لا اتصال بينهما ، وبعد أن يحذق التلميذ رسم الاسافين مفردة كان معلمه ينقله الى عمل أرقى وهو تركيب الاسافين المفردة معاً بحيث يتألف منها العلامات الرمزية عندهم ومتى مهر فى ذلك يكون قد بلغ نهاية التهذيب وصار قادرا أن يكتب كلمات كاملة ويؤلف جملا بسيطة ثم جملا مركبة وينقل اقتباسات من مكتوبات قديمة ، وقد وجد الباحثون عن الاثار أجرة فى انقاض احدي المدارس مكتوبا عليها مثلا من أمثالهم يبين منه أن البابليين كانوا يقدرون الكتابة حق قدرها أما المثل فهو هذا « من يتفوق فى الكتابة على الاجرّ يتألق كالشمس » ومما لاريب فيه أن كثيرين من شبان بابل دبت فى صدورهم النخوة وهم ينسخون هذا المثل الذى أثار فى نفوسهم الحماسة حتى لم يشعروا بمضض مشقة الكتابة



الحكومات الحاضرة ومستقبلها

لسلامه موسى

تعددت أنواع الحكومات فى وقتنا . وطوالع الحال تدل على أنها سوف تتعدد فى المستقبل أكثر وأ كثر . وكذلك يجب لكى نتابع التطورات القادمة أن ندرس العوامل الحاضرة واشكال الحكومات القائمة لكى نقدر التغيرات المنتظرة

والحكومة الشائعة فى العالم المتمدن هى الحكومة النيابية . والأساس الذى تبنى عليه هذه الحكومة — بوجه عام — هو أن الذى يتولى الحكم بضعة أشخاص يختارهم البرلمان. وهو ما دام يثق بهم فانهم يتولون الحكم أما اذا ذهبت هذه الثقة فلا يجوز لهم ذلك . وهؤلاء الاشخاص هم من نسميهم الوزارة

١ - فالحكومة النيابية عند الامم الشمالية فى نروج واسوج وهولندا ودنمركا وبريطانيا لا تزال تحتفظ بالروح الديمقراطى وتؤمن به وهى جميعا تسير على النمط البريطانى أي أن الحكومة المركزية لا تتناول من الاعمال سوى تلك التى لا يمكن المجالس المحلية ان تتناولها . ففى انجلترا مثلا تقتصر لندن على حكم نفسها ولا تحكم منشستر أو برمنجهام ولا تعين لهما المدير أو الحكومة أو الحكمدار أو قوة البوليس أو معلمى المدارس . لان كل مدينة تتولى ذلك بنفسها دون تدخل الحكومة المركزية

٢ - ثم هناك الحكومة النيابية عند الامم الاتينية مثل فرنسا وأسبانيا والامم اللاتينية فى أمريكا الجنوبية وأيضا فى ايطاليا (قبل الفاشية) ففى هذه الحكومات نجد أن الحكومة المركزية تبتلع القطر كله حتى لتشعر القرية الصغيرة النائية بأثرها . فان مرسليا مثلا تنتظر أن تعين لها باريس محافظها وقوة بوليسها ومعلمى مدارسها

فالحكم الذاتى فى الامم الشمالية متقدم راق . وهو فى الامم اللاتينية متأخر . وهذا على الرغم من أن الحكومة الرئيسية نيابية . والامم الشمالية لتقدم الحكم الذاتى فى المدن والمديريات أكثر إلفة للنظام البرلمانى وأعمق ادراكا للروح الديمقراطى . وهى لهذا السبب نفسه أكثر سكونا الى الحكومة النيابية ورضى بها . ولهذا لا تجدفى هذه الامم أية دعاية يؤبه بها عن الفاشية أو الشيوعية

٣ - وهناك نوع ثالث من الحكومات النيابية يرى فى سويسرا والولايات المتحدة . وهو

أشبه بالأمم الشمالية منه بالامم اللاتينية . وكل ما فيه مما يلفت النظر ان الحكومة المركزية - التى تمثلها فى تلك الحكومات باريس ولندن مثلا - هى فى مركز ثانوي أزاء حكومات الولايات . لان الاصل هنا أن الولاية مستقلة والحكومة المركزية « اتحاد » فقط بين هذه الولايات . ومن هنا الصعوبات التى يلقاها المستر روزفيلت فى الولايات المتحدة وقيام « المحكمة العليا » التى يقصد منها قبل كل شيء حماية حقوق الولاية أزاء الاتحاد

٤ - وقد قلنا أن لباب الحكومة النيابية أو الأساس الذي تبنى عليه أن الوزارة هى بضعة أشخاص يأتمنهم البرلمان على الحكم أي أنها لجنة من البرلمان نفسه مكلفة بالحكم

هذا هو الأساس . ولكن هناك اختلافات تنقض هذا الأساس بعض الشيء . فان الوزراء فى الولايات المتحدة مثلا ليسوا خاضعين للبرلمان

والمألوف أنه اذا اختلف البرلمان والوزارة جاز للوزارة أن تحتكم الى الشعب أى تحل البرلمان وتطلب برلمانا جديدا يؤيدها أو يخذلها . ولكن الوزارة الفرنسية لا يمكنها أن تحل البرلمان . وكذلك الحال فى معظم الامم اللاتينية

* * *

فى الحكومات النيابية ثلاث بدع يحسن بنا أن نعرفها هى :

١ - طريقة الانتخاب النسبي كما يمارس فى ست دول هى سويسرا وهولندا وبلجيكا والدول الاسكندناوية الثلاث

٢ - طريقة الاستفتاء كما يمارس فى كثير من الدول مثل سويسرا أو اليونان

٣ - طريقة الاستشراع كما يمارس فى سويسرا والولايات المتحدة وهذه الطرق الثلاث نجهلها جميعها فى مصر . ولنأخذ الطريقة الأخيرة أولا . فانه قد يحدث أن الجمهور يطلب قانونا جديدا ولكنه لا يجد من البرلمان استعداداً للنظر فيه وعندئذ يأخذ هو على عاتقه الدعوة الى القانون واجبار البرلمان على قبوله . وذلك بان يوقع ٣٠٫٠٠٠ شخص طلبا بالقانون . فاذا كان هذا القانون يقصد الى تغيير فى الدستور وجب أن يكون عدد الموقعين ٥٠٫٠٠٠ أما فى الولايات المتحدة فالاستشراع لا يمكن إلا بعد أن تدعو اليه ٢٠ ولاية

أما الاستفتاء فمعروف وهو أن تعمد الحكومة الى استشارة الشعب كما حدث قريباً عند ما استشير الشعب اليوناني فى عودة العرش

بقيت طريقة الانتخاب النسبي التى قلنا أن ست دول من أوربا يمارسنها فان هذه الطريقة تحول دون الأضرار الناشئة من الاكثرية المطلقة

وهذه الطريقة تحتاج الى بعض الشرح ، فان الانتخابات للبرلمان تجرى بالاكثرية المطلقة. أي أنه اذا فرضنا أن الاصوات فى دائرة ما تبلغ ٢٠٠٠٠ صوت . ونال أحد المرشحين ١٠٠٠١ ونال الآخر ٩٩٩٩ فان الأول يفوز والثانى ينهزم

وقد تتكرر هذه النتيجة فى مائه أو مائتى دائرة . فيخرج الحزب المنهزم وليس له أعضاء مع أنه لو جمعت الأصوات التى حازها فى أنحاء البلاد ووزعت على التقدير العددى لكل عضو لحق له ان ينال عدداً كبيراً من كراسى المجلس. وحيث يكون الحزب ضعيفا تؤثر فيه الاكثرية المطلقة تأثيراً فظيعا . فان الاشتراكيين الانجليز نالوا فى الانتخابات الأخيرة ٩٫٣٢٥٫٠٠٠ صوت فلم يحصلوا إلا على ١٥٤ مقعد

ونال المحافظون ومؤيدوهم ١١٫٥٨٦٫٠٠٠ صوتا حصلوا منها على ٤٢٨ مقعدا ولو أعطى الاشتراكيون عددا من الكراسى بنسبة الأصوات التى حصلوا عليها لبلغ أعضاؤهم فى العدد نحو ثلاثة أرباع المحافظين

ومن هذا التفاوت بين عدد الأصوات فى مجموع الأمة، وعدد الأعضاء للحزب المخذول ظهرت فائدة الانتخاب النسبي . فان الحزب يجمع الاصوات فى جميع أنحاء البلاد ويأخذ بها كراسى فى البرلمان

* * *

ولكن الأنظمة الحكومية لم تعد مقصورة على الحكومة النيابية التى يختارها الشعب . فان الديمقراطية قد وجدت خصوماً منتصرين فى ثلاثة دول هى ايطاليا والنمسا وألمانيا حيث تسود الحكومات الفاشية

والحكومة الفاشية هى حكومة نقابية تمثل الصناعات ولا تمثل الأفراد . مثال ذلك أننا بدلا من أن نجد برلماناً مؤلفاً من مجلسين قد انتخب أحدهما الشعب وانتخبت الهيئات الأخرى المجلس الثانى نجد (فى ايطاليا) برلماناً مؤلفاً من ١٣ نقابة هكذا :

واحدة منهن للحرف الفنية كالطب والمحاماة

وست منهن للعمال

وست منهن لاصحاب العمل

ومن هذه النقابات الثلاث عشرة يتألف البرلمان الذى يسن القوانين للأمة

* * *

ففى وسط هذا التيه من الانظمة هل يمكنا أن نصل الى أجابة سليمة عن الحكومة فى المستقبل القريب وكيف تكون ؟ أن خصوم الديمقراطية يزدادون كل يوم. وحجتهم على الديمقراطية مزدوجة.

فهى أولا قد أصبحت غير ممكنة بل هم يقولون أنها لم تكن قط فى العصور الحديثة ممكنة . وهى ثانياً قد أصبحت غير مفيدة

فالديمقراطية عند هؤلاء الخصوم كانت أيام الاغريق يمكن العمل بها لان الحكومة القائمة كانت حكومة المدينة . فكان يمكن جميع السكان فى المدينة تقريباً أن يعرفوا شخص المرشح للانتخاب ويقدروا أخلاقه . أما الآن فالحكومة هى حكومة القطر . والشعب الذى يريد أن يحكم بنفسه كما هو المعنى المقصود من لفظة الديمقراطية لا يمكن أن يعرف أشخاص المرشحين للانتخاب . ولهذا فان رقابته عليهم خفيفة أو معدومة . والحكومة الديمقراطية لهذا السبب غير صالحة للحكم

ثم هى أيضاً غير مفيدة . لان الحكم لم يعد مقصوراً على صيانة الامن العام كما كان الشأن فى الحكومات القديمة الساذجة بحيث كان يكفى الجمهور أن يسلم القضاء لرجل معروف بالدين والتقوى. بل أصبحت الحكومة فنية تحتاج الى المهندس والطبيب والكيماوى والاقتصادى وغير هؤلاء ممن لا يمكن الشعب أن يقدرهم وأن يميز الكفء منهم من الناقص . واختبارات الانتخابات تدل على أن هؤلاء الاكفاء من الفنيين اعجز الناس عن النجاح فى مباريات الانتخابات. والجمهور لسذاجته يؤثر المرشح الذي يجيد الخطابة على المرشح الذي يجيد الهندسة أو الطب أو الكيمياء مع أن الأمة لا تحتاج الى الخطيب بل الى هؤلاء القادرين على اصلاح شؤنها الاجتماعية

كانت الحكومات القديمة الديمقراطية ساذجة قليلة الأعمال فكان يمكن الشعب أن يثق برجل عرف عنه العدل ويقنع منه بكف الأعتداء عن السكان . ولكن الحكومة الحاضرة قد حملت على عاتقها أعمالا فنية كثيرة . فهى تحتاج الى الفنيين الذين يعجز جمهور الشعب عن أن يقدرهم

* * *

لقد رأينا أن الحكومات نوعان فى أوربا .

١ ـ حكومة من الشعب كما هو الحال فى الأمم الشمالية مثل بريطانيا ودنمركا

٢ ـ حكومة من الصناعات أى النقابات مثل ألمانيا وايطاليا ونمسا وظنى أن حكومة المستقبل هى مزيج من هذين النظامين . فلن تكون شعبية خالصة ولا نقابية خالصة

وذلك لان العوامل الاقتصادية تزداد قوة وأثراً فى الهيئة الاجتماعية . وستكون هى المحور الذي تدور عليه الحكومة فى المستقبل القريب . وهذا واضح من المسائل التى تستقل بها جميع الحكومات المستحدثة . فان الانتاج والاستهلاك والنقد والمواد الخامة والعمال والصادرات والواردات والوطنية الاقتصادية كل هذه مسائل تكاد تستوعب جهود الوزراء . وهى مسائل فنية

لا تحتاج الى الخطب بل تحتاج الى رجل الفن الذى يدرس أحد العلوم أو الفنون ويحذقه لكى يعالج الغلطات عندنشوئها قبل أن تستفحل وتضر

ولذلك لا بد أن تأخذ الحكومات بشىء من نظام الفاشيين مع الاحتفاظ برقابة الشعب أو بما يمكن منها . فان النظام النقابى الذى أوجده الفاشيون يجعل مسألة الانتاج محور الحكم . وما فيه أحياناً من عسف انما يرجع الى الرغبة فى زيادة الانتاج الذى يجب ألا يعوقه أى عنف من حركات العمال لزيادة أجورهم مثلا . وسيبقى الانتاج والاستهلاك الشغل الشاغل للحكومات فى السنين القادمة وسيكون هو المقرر فى النهاية لنظام الحكم

ونحن نرى حتى فى الحكومات الديمقراطية أو التى لا تزال تسمى نفسها كذلك بين أمم الشمال تدخلا متواليا فى الأعمال الحرة. وهذا التدخل يصبغ الحكومة باللون الاقتصادي ويشبكها بالمصالح الاقتصادية . وهى ما دامت سائرة فى هذه الخطة فانها ستنتهى بالرقابة على هذه المصالح

* * *

وهذا التدخل المستمر فى الحكومة فى العمل الحر أى الاشتباك المتوالى بالمصالح الاقتصادية سينقل مهمة الحكومة أي غايتها من تأمين الناس من العدوان الى تأمينهم من الفقر

وذلك لان الحكومة بتدخلها فى الانتاج وتنظيمها للاستهلاك ستصبح قبل كل شىء أداة اقتصادية وليست سياسية. وكلما تقدمت المصانع فى الانتاج ازداد اهتمام الحكومة بالاستهلاك حتى لا تتخم الاسواق بالبضائع ويحدث العطل. وهذا الموقف الذى ستقفه كل حكومة متمدنة سيجعلها دائبة فى الدرس للاقتصاديات وهى لذلك ستتجه فى التأمين الاجتماعى نحو التأمين من الفقر. ونحن نرى بزور هذه الحركة فى النظم المختلفة التى ترى، الآن فى أمم الشمال للتأمين من العطل . ومن الشيخوخة ومن المرض

لقد كانت أهم وزارات الحكومة المتمدنة قبل خمسين أو ستين سنة وزارة الخارجية بل كان يفهم من (خطة الحكومة) تلك السياسة التى ستتخذها نحو الدول الاجنبية وكانت الانتخابات تقرر على هذا الأساس . ولكن الحال قد تغيرت فى أيامنا ففى كل حكومة متمدنة وزارات تختص بالشئون الاقتصادية . وعلى هذه الشئون تبنى الخطط التى تكسب بها الاحزاب الانتخابات

* * *

ان الأصل فى الحكومة البرلمانية فى جميع الأمم المتمدنة هو الحكومة الانجليزية . فان البرلمان الانجليزي قد نقل نقلا يكاد يكون أحياناً أعمى عند جميع الأمم . حتى أننا نرى أن مجلس « الاعيان » البريطانى قد نقل مع أننا نجد له فى تاريخ بريطانيا ظروفا تبرر وجوده عندها ولا

يجد مثل هذه الظروف عند الأمم التى نقلته عنها . ولذلك فان الامم الجديدة النشيطة مثل أرلندا لا تتأخر فى الغاء المجلس الثانى

ولكن هذا النظام البريطانى الذى يقول بالديمقراطية قد أصبح فى ظروف الحرج الاقتصادى الذى ينشأ من وقت لآخر فى زماننا يجد صعوبات فى تنظيم الحكم . لانه هوفى لبابه هيئة سياسية يطلب منها معالجة الشئون الاقتصادية . بل الانسان يشك حتى فى قدرة هذه الهيئة على معالجة السياسة . وكل ما يمكن أن يقال فى مديحها أنها استطاعت أن تستخلص الدستور من الملوك وانها نقلت الحكم منهم الى الشعب . أما الآن فان الانجليز أنفسهم ـ على حد ما يقول المستر تشرشهل ـ يحتاجون الى برلمان اقتصادى وليس سياسياً

وخلاصة القول أن الانظمة الحكومية سوف تتعدد لباعث واحد هو قوة العوامل الاقتصادية . وأن هذه العوامل ستكسب النقابة شأناً جديداً أو ستنقل معنى التأمين الاجتماعى من حماية الناس من الاعتداء الى حمايتهم من شرور الفقر . ولهذا السبب ستصبح الحكومات فنية تفهم الديمقراطية على أنها خدمة الشعب فقط





الشعر بين الفلسفة والصياغة

للأستاذ علي محمد البحراوي

— ١ —

اذا وقفنا فى تقسيم الشعر عند الاقسام الثلاثه التى يوزعه عليها المدرسيون من انه غنائى وقصصى وتمثيلى ، فاننا نحس باننا نفقد بعض املنا فى الفن

أما السؤال عن ماهية هذا الامل فهو تعسف لا يجيزه مبرر لاننا كلما نوجه هذا السؤال إلى أنفسنا نعود وليس فى طوعنا له تعريف كامل ، فاذا كنا نستطيع أن نقربه الى التصور والنفس المتجاوبة مع الشعر تفيد منه متعة الحس وعزاء الروح ، وان كنا نجد متعة الحس غالباً فيما يتجاوب مع النفس فى شعر الغناء أو الملحمة القصصية أو الدرامة التمثيلية فقد لا نجد فى ذلك العزاء الروحى الذى هو قوام حسابنا بتأثير الفنون عامة والشعر على وجه خاص ، فقد يتعدى هذا التقسيم للشعر بعض المقطوعات الوجدانية والصور النفسية التى تكتمل فيها الاحساس بالتجاوب فيتحرك شعور العزاء الروحى الذي يثيره كمال الفن

وشأن الشعر فى ذلك شأن الدين والفلسفة فان الانسان مهما تقدمت به أساليب المدنية ، ومهما أخذ من أسباب الحياة فهو دائم الشعور بنقص هو فى حاجة مستمرة الى الخلاص منه : فهو لا يرضى على الحياة باعتبارها المثل الذى يطمئن عنده الا إذا مات فيه ينبوع الحيوية . ولذلك يفتقد إيمانه بالدين ، الدين الذى يرسل إلى نفسه معانى العزاء ، ولذلك يترسل فى بعض مناحي الفلسفة ، فلسفة تحليل الحياة وتجريدها من خطرها والاستهانة بما تجود أو تبخل به فان ذلك يبعث فيه صور العزاء الروحى المنشود ، فالدين والفلسفة والشعر هي بواعث العزاء الذى تتلمسه النفس البشرية لتعيش فى هديه ، وهى العزاء الروحى الذى يعاونها على معالجة شئون الحياة فى هدوء واطمئنان

ويعتقد الناقد الانجليزي المعروف ماثيو ارنولد أن البشرية ستكشف يوما بعد يوم عن حاجتنا الى الشعر ليفسر لنا رموز الحياة ويبعث فينا روح العزاء والاحتمال ، وهو يقول بان العلوم بغير الشعر ناقصة لأنه قوامها وروحها الصافية ، بل هو يذهب الى أبعد من ذلك فيقصر بعث العزاء الروحى على الشعر وحده ، ويقدم أثره فى ذلك على أثر الدين والفلسفة ، ويقول أن الدين الذى

يعتمد على التدليل بالمحسوس تارة وبالروحانيات البعيدة تارة أخرى وأن الفلسفة التى تعتمد على التعليل والكائن المحدود واللانهائي ما هى كلها الا أطياف واحلام ومظاهر خاطئة للمعارف ، وسيأتى اليوم الذى تعجب فيه الانسانية من اعتبارها مسائل حديثة يمكن الاعتماد عليها .

وهو يقول انه بقدر مايبدو حوار الدين والفلسفة يمكن الوصول الى تقدير العلوم والاحساس بصفاء روحها عن طريق الشعر

وهذا القول لا يخلو من الغلو والتعصب للشعر وإن كان فيه تصوير طريف لقوة أثره ، فقد يمكن أن نوازن بين الشعر والفلسفة فى العزاء الروحى ، وقد يمكن تقليب تأثير الشعر لأنه يستطيع أن يهضم الفلسفة ويعبر عنها ويكشف عن روحها حينما لا تستطيع الفلسفة أن تهضم الشعر او تؤدى رسالته . فالشاعر القادر الموهوب يستطيع أن يجعل من الشعر فلسفة مقبولة ، اما تأثير العزاء الروحى للدين فيجب أن يكون فوق هذه المقارنة لأنه بغير شك أقواها خاصة وأبعدها أثراً ، والنفس المتهيئة للتأثر بالدين هى نفس علوها الايمان . ومن الميسور أن نتجاوب مع تأثير الشعر والفلسفة لأن التدين يرهف الاحساس الى حد يجعله مستعداً لمؤثرات الفن الأخرى . والدين فى أي صورة يدعو الى تقدير جمال الانسانية مع ما يدعو اليه من التجرد والرياضة الروحية .

يقول كارليل ان « الشعر الهام ينشأ فى أخص وأقدس نواحى النفس الانسانية » وهذا تفسير موفق لموهبة الشعر من وجهه نظر الشاعر الذي تضطرب فى نفسه مختلف العوامل إذا عرض لهذا التفسير فلا يستطيع أن يكنى عنه الا بانه الهام . والهام قد ينشأ فى اخص وأقدس نواحى النفس .

ويشبه الأديب الفرنسى الكبير « بول فاليرى » شعور الشاعر بشعور الحالم ويطابق بين الشعر والحلم وان كان يحرص على التنبيه الى ان ذلك لايعنى ان الحلم كله شعر وان جاز العكس لأن الاحلام وهى صور تكونها المصادفة . لا يمكن أن تكون ذات انسجام واتساق الا بالمصادفة كذلك . اما الشعر فهو الحلم المنسق المنسجم الذى يصور الحياة ملونة باحساسنا بها . ويرى فاليرى كذلك أن الشعر حاله غير مستقرة ولامستطاعة فى كل الاوقات فهى لا تجرى على قياس . وهى تضيع عرضاً كما تأتى عرضاً . تأتى بها المصادفات وتذهب بها المصادفات أيضاً .

ويقول ارسطو معلم الفكر الانسانى أن تعالى الشعر فوق التاريخ يكون فى توفر الحق السامى والجد الرائع . وهذه المفاضلة بين التاريخ والشعر التى يتفوق فيها الأخير بالحق والجد ، تمهد لنا أبر سبيل لتعريف الشعر من وجهتى نظر الشاعر والناقد . وهو على هذا الأساس ليس إلا جمال التعبير عن الاحساسات الصادقة الجادة . وفى هذا يقول الناقد الانجليزى ماثير ارنولد

« سيكون نقد الحياة من القوة بنسبة مايحمل الشعر من سمو لا انحطاط فيه ، ومن كال لانقص فيه ، ومن صدق لا كذب فيه . أى أن أداء الشعر لرسالته الاولى ـ وهى نقد الحياة ـ على أكمل الصور مرهون بمقدار مايحمل من عناصر نجاحه ، وهى السمو والكمال والصدق

وإذا كان الكاتب الانجليزى ماكولى يزعم أن الصدق غير متفق مع جوهر الشعر لأن الفكرة الشعرية تقوم ـ فى رأيه ـ على خيال لايساير منطق العقل وأن ماتؤدى اليه نتائجها فروض لايمكن تصديقها إلا اذا أنكرنا معارفنا ، فهى أقرب الى الوهم . والشاعر العبقري هو الذى يستسلم لهذا الوهم ويتركه يفعل بنفسه ماتفعله الحقيقة

ويظهر أن ماكولى لم يذكر هذا الرأى الطريف إلا فى معرض التحدث عن العلاقة بين الشعر والفلسفة ويلوح أن رغبته القوية فى التفريق بينهما و بيان استحالة اقترانهما فى أي مظهر من مظاهر الفكر هى التى رفعته الى تحريم الشعر من كل ظاهرة منطقية معقولة حتى لايسير والفلسفة فى طريق ولقد اشتدت حماسته لهذا الأمر فاخذ يتلمس البراهين على أن الشعر والفلسفة نقيضان وأن الشعر الفلسفى محض محاولات عقيمة فى النظم ، وأن من يحاول أن يكون شاعراً فيلسوفا هو جاهل باغراض الشعر ومعانيه . واضطر ماكولى أن يقصر مايسميه شعراً على دوافع العواطف الخلابة التى تستمد وحيها من القلب مباشرة غير متأثرة عن أي طريق بالنقل أو المنطق . فهى استرسال فى الاحلام دون ميل إلى التحليل أو التفكير لأن فى هذا الميل أثر الفلسفة ، والفلسفة والشعر لايتفقان

وإذا لم يغرب عن الذهن أن الفلسفة ـ وغرضها البحث عن الحقيقة ـ لم يصل أصحابها بعد إلى الحقيقة ، وأن مقدماتها الاولى هى مسائل فرضية يضعها خيال لايخضع كل الخضوع لأحكام العقل والمنطق ، استطعنا أن نسيغ الرأى القائل بان الشعر والفلسفة من نبع واحد وإنما تتفرق وسائلهما وأساليبهما وطرقهما . كما يخرج عدة أنهار من نبع واحد يأخذ كل منها طريقاً مختلفاً

وأحدث تصوير للشعر يقول بانه هو حديث العقل الباطن . واذا تأملت الفلسفة تأمل درس عميق لم تجـدها سوى خواطر مايسمى بالعقل الباطن . والشعر والفلسفة ليسا سوى بحث عن « المعرفة » يتخذ طريق استثارة الاحساسات والعواطف ا ناً ويتخذ طريق التنقيب الرزين المتئد آونة أخرى . وهو فى كلا الطريقين يحاول أن يستشف كنه النفس البشرية. ولن يستطيع .وهو لو استطاع لحرم العقول والأخيلة متعة الدنيا وعزاء الحياة

ان بعض الفروق بين الشعر والفلسفة لايتعدى أن الاول هو تفكير وتحليل يقلب عليهما أثر العقل الباطن وقد لايتيسر للعقـل الواعى أن يسيطر عليهما كل السيطرة بينما الفلسفة هى تفكير وتحليل يرعاهما العقل الواعى فى الاغلب وإن كانا لايسلمان من أثر العقل الباطن

وليس معنى هذا أن الشعر والفلسفة شقيقان مقترنان . فلكل منهما سبيله وأساليبه وان لم تحل إحداهما من أثر للآخر فى اكثر الاحيان . فان متابعة الفيلسوف لنتائج التطورات والفروض ومحاولة تصورها أشبه بمتابعة الشاعر لصور الخيال التى هى اكثر ماتقوم على الاقتراض

على أن ذلك لايرمى إلى مزج الفلسفة بالشعر مزجا علمياً فان أثر احدهما بالآخر لايخرج عن دائرة التوجه العام . والشاعر الذى لايتأثر بتوجيهات الفلسفة هيهات أن يؤدى رسالة الشعر

والذين يسخرون من مثل هذه الآراء من اخواننا الرجعيين المعتزين كل الاعتزاز بالأدب العربى القديم فحسب يخطئون فى توجيه سخريتهم كل الخطأ لأن أفذاذ الشعراء العرب كانوا متأثرين بالفلسفة تأثراً يظهر في شعرهم عامة بل هو أظهر فى روائعهم الخالدة . والشاعر الذي يعرض لوصف الاسد ـ مثلا ـ ويقف عند الحدود التى يفرضها عليه الرجعيون لن يبلغ مهما أطنب فى وصف هيبة الاسد واعتداده مابلغه « المتنبى » اذ يقول :

يطأ الثرى مترفقاً من تيهه فكأنه آس يجس عليلا

ويرد عفرته الى يافوخه حتى تصير لرأسه اكليلا !

فهذه النظرة التى تصور من الاسد المتئد فى سيره طبيبا يفحص عن العليل فى ترفق وتترجم هزة رأسه الى الوراء بالرغبة في رد الشعر خلف الرأس لتأخذ مظهر الاكليل لم تكن لتتهيأ للمتنبي إذا كان ساذجا لايقرأ الفلسفة ولايتأثر بها!

وهل يستطيع شاعر لايتنكب مواطن الخيال الفلسفى أن يصف الخمر بما وصفها به « ابن الرومى » حين يقول :

ومدامة كحشاشة النفس لطفت عن الادراك باللمس

لنسيمها فى قلب شاربها روح الرجاء وراحة الناس

وتمد فى أمل ابن نشوتها حتى يؤمل مرجع الامس

وهل الشاعر الذى يصف الخمر بالخفة حتي ماتدرك باللمس ! ويصف أثرها مرسلا للرجاء وللناس ممهداً لفسحة الامل حتى أمل بعث الامس . هل هو شاعر ساذج لايقرأ الفلسفة ولايتأثر بها ؟

وهذان المثلان من الشعر الوصفى وهو أقل فنون الشعر تأثراً بالفلسفة لانه مرتبط بمادة موجودة فكيف إذا كانا فى غير هذا الضرب ؟

وماذا يقال عن المعري إذا حشدنا الف شاهد وشاهد من شعره . وإذا نظرنا أول ما يصادفنا منه ولكن ـ مثلا ـ داليته المشهورة فى الرثاء التى يقول فيها

ضجعة الموت رقدة يستريح الجسم فيها والعيش مثل السهاد

أو أبياته التي يقول فيها

تفارق العيش لم نظفر بمعرفة — أي المعاني باهل الارض مقصود
لم يعطنا العلم أخبارا يجيء بها — نقل ولا كوكب في الارض مرصود
وابيض ماااخضر من نبت الزمان بنا — وكل زرع إذا ماهاج محصود

فهل كان المعرى يقول ذلك لو لم يكن مطلعا على الفلسفة عارفا باسرارها متأثراً بتوجهاتها

— ٢ —

إذا خلصنا من بحث فلسفة الشعر وأثره إلى التحدث عن صياغته فان أول مايجب أن نشير اليه هو موضوع الشعر المرسل أو مايسمونه النظم الذي لايجري على سنن واحد. وقد يكون هذا الموضوع الجديد في الادب غريباً عن الادب العربي شديد الغرابة على الرجعيين الذين ينصبون من أنفسهم حماة للغة العرب، والذين يقولون أن أي تغيير يدخل على تقاليد الشعر العربي، وهو الذي ساير الدهور قرونا وماشي مختلف الحضارات واتسع لكل ما احتاجت اليه حياة العرب السياسية والاجتماعية من أغراض هو عبث بهذا التراث، وهو نزعة طائشة يجب أن تقاوم في نفوس أصحابها اعنف المقاومة

وهذه ظاهرة طبيعية في كل أمة وفي كل جيل. ولو أن المجددين والمصلحين يلقون الطريق ميسراً ممهداً أمام رسالتهم لتسابقت المدنيات ولوصل العلم إلى غاياته بل لسمت البشرية الى مثلها العليا من زمن بعيد ولكن أصحاب الجديد يحاربون في كل عصر حربا تطول وتقصر وتشتد وتضعف حسب تقدم العصر واستعداده لقبول الجديد من الآراء والمذاهب، ولابد من التسليم بان أوزان الشعر وقوافيه الحالية من أقوى مايحجزه عن مسايرة النهضات الحديثة. ولابد من بعض الحرية في الترسل حتى يستطيع الشاعر العصرى أن يرضى فئة الجديد بمعالجة نظم الملاحم والقصص شعرى، وليس في ميسور شاعر تتسابع على ذهنه مختلف الصور أن يحرص على رقة تصورها كل الحرص اذا شغل بمراعاة القوافي المرسومة، والملحوظ أن سبب «الحشو» الذى يتخم الشعر العربي اكثر مايرجع الى الرغبة فى المحافظة على سياق القافية. ثم كيف نطالب الشاعر بالقصد فى الفاظه وتعابيره وجعلها على قدر معانيه لايتجاوزها اذا الزمناه أن يتبع سنة تحتم عليه طائفة خاصة من الالفاظ المقفاة؟

يقول تاجور فيلسوف الهند وشاعرها الاشهر أن الجمال أداة التعبير عن الفن ولكنه ليس الغرض المقصود منه. وهذا القول من انسب مايذكر لهؤلاء الذين يأخذون على الشعر المرسل فقدانه لجمال موسيقى القافية فى نظرهم وخروجه بذلك عن معاني الشعر مع أن للترسل موسيقاه وجماله وروعته

على أن مسألة الترسل فى الشعر والتخلى عن بحوره المعروفة أو مزجها يجب أن تكون مسألة ثانويه لاتستحق كل هذا الاهتمام لأن الشعر هو الشعر فى كل صوره وليس من المعقول أن تتحكم الابواب فى المعانى لأن المنطق الصحيح هو أن تتحيز المعانى مايروقها من مظاهر وأثواب والبساطة والقوة والطلاقة هى صفات السمو فى هذا العصر . ولنترك الشاعر يأخذ طريقه اليها فى شعر موزون مقفى أو فى شعر مرسل أو فى شعر حر أو فى شعر منثور ومن الحكمة ألا تقدم الوسائط الصناعية على الطبيعة الطلقة الخالصة

يرى الأديب الفرنسى الكبير « بول فاليري » ان على الشاعر أن يعالج مطلبا لايختلف كثيرا عن مطلب الموسيقار بينما هو محروم مما يتاح لزميله من شتى الوسائط ، لأن الموسيقى قديمة أوهى أزلية الوجود ، لان نغماتها قد وجدت مع الكون وهى تطغى على شتى مظاهر الحياة وان تمييزها من الضوضاء هو الذى أدى الى اكتشاف النغمات واستغلال عالم الاصوات . فالموسيقار لديه وسائله التى ان تكن محدودة فهى دقيقة منظمة تصور له العالم الذى يسبح فيه بفنه ، أما الشاعر فهو مضطر الى ابتداع أدوات فنه الموسيقى وليست هناك خصائص معروفة لعناصر هذا الفن ، فلا موازين لضبط الحركات والنغمات والاصوات ومالدى الشاعر من الفاظ لغوية لاتأخذ الى السمع اتجاها واحدا

والكلمة الواحدة يكون لها من المعانى والنغمات بعدد من يسمعونها أو يقرأونها لانها لاترسم معنى واحدا أو نغمة واحدة فى كل الاذهان خصوصا اذا اندمجت فى الصياغة الشعرية على أن هناك شبه مقياس للمعانى والنغمات من ناحيتها العامة هو الذى يجب أن يستند اليه ناقد الشعر اذا عرض لدرس الشاعر

وفاليرى يريد أن يصل بنا إلى أن الشاعر الموفق فى معانيه وموسيقاه انما يأتى بما يشبه المعجزات وقد يكون هذا صحيحاً فالشعر الكامل اعجازه الذى لا يعرفه الا الشاعر أو من حاول الشعر !

وكان العرب يعنون بانتقاء بحور الشعر ومراعاة توافقها مع ماينظمون من موضوعات . وكانوا على الاجمال يحبون أوزاناً معينة ويؤثرونها على غيرها من الاوزان . وكانوا يعيبون من يلجأ إلى الاوزان الثقيلة المهجورة وان كانت منهم طائفة لم يكن يعجبها إلا معالجة المهجور والتفنن فى فى تنويع ما ينظم فيه من أغراض . وقيل أن أحد ملوك الاندلس كان لا يقترح على الشعراء الا بحر الخبب لاستصحابه اياه فكانوا يتبارون فيه !

وكان العرب يعنون بتخير القافية كذلك وبالملاءمة بينها وبين البحر من ناحية وبينها وبين الموضوع من ناحية أخرى . وكان حرف « الراء » احب حروف اللغة اليهم فى التقفية . ولقد بلغ

الامر ببعضهم الى القول بان كثيراً من القصائد غير الرائية لواستبدل حرف قافيتها بالراء لكان لها شأن غير شأنها الاول . وهذا كلام لايخلو من طراقة ومن عجيب . ولكنه يصور لنا الى أي حد كانت العناية منصرفة عن معانى الشعر وفلسفته الي مظاهره والفاظه .

وليس يعنى ذلك أننا ندعو الى اغفال العناية بالموسيقى الشعريه ولكنها فى رأينا لا تحتاج الى انصراف خاص اليها من الشاعر المطبوع لأن للشعر العالى صفاء يترجم عن موسيقاه الطبيعية المتسقة إذ يفسدها التكلف كما تفسدها الصناعات اللفظية المبهرجة التى قد تطغى على جوهر الشعر

— ٣ —

وقد ذكر صاحب كتاب « سر الفصاحه » فى معرض الحديث عن القوافى فى الشعر أن بعض الشعراء «قد التزم اعادة مالا يلزم اعادته طلباً للزيادة فى التناسب والاغراق فى التماثل » وأورد عدة أمثلة على هذا الضرب من النظم ثم قال

«وليس يغتفر للشاعر إذا نظم على هذا الفن لاجل ما الزم نفسه مالا يلزمه شىء من عيوب القوافى لانه انما فعل ذلك طوعاً واختياراً من غير الجاء ولا اكراه . ونحن نريد الكلام الحسن على أسهل الطرق وأقرب السبل . وليس بنا حاجة الى التكلف المطرح . وان ادعى علينا قائله أن مشقة نالته وتعباً مر به فى نظمه »

وما من شك فى أن هذا القول انما يعنى الانصراف عن هذه القيود الى تقديم سمو المعانى وكمال الفكرة وعدم الوقوف عند هذا العبث الصناعى السخيف . ولوأن شعراء العرب كانوا يستبيحون النظم المرسل ما وصلت الينا اعاجيب الشاعر المتنطع الذي يقول

شبيه بابن يعقوب ولكن لم يكن ، يو
سف يشرب الخمر ولا يزنى ولا يو
سع بالامواه القهوة فرحا لم يكن دو
ن فى صبح وامساء ، وهذا منكر يو
شك الرحمن ان يصليه فى نار خزى هو
لنا أهل فلا يكشف عنه ربنا السو
ء فان الاخضر الابطين ذى الفحشاء لا يو
قد النار لأضياف ولو قيل ذو
دنانير واموال فيارحمن لا تو
سع الرزق على هذا الذى منظره لو
لؤ والفعل ستوق فوزن لا يو

ثم قطع الكلام على « يو » ! فاين موسيقى القافية فى مثل هذه الأبيات التى يبلغ فيها حرص صاحبها حداً لا يتحرج من تجزئة كلمة القافية على بيتين ؟

وهل يجد مثل هذا النظم من يتذوقه ويسيغه ويتفهم معانيه ؟

— ٤ —

كان الشاعر جون كيتس وطيد الايمان بانه لا يجوز للشعر أن يهضم آراء الدين او الفلسفة أو السياسة أو غيرها لانه ينبغى ان يبقى رمزاً للجمال الخالص ولأن الشاعر فنان لا نبي ولا فيلسوف ولا داعية سياسى ، وكان يأخذ على صديقه الشاعر برس بيش شيلى نظرته الى الشعر نظرة تهذيبية انسانية ، ويأخذ عليه كذلك مثاليته العالية التى تستغل الشعر فى اثارة العواطف السامية .

وكان غريباً من كيتس هذا الرأى وهو الذى طالما تحدث عن الجمال وفلسفته فكان هو نفسه الفيلسوف المثالى المنعمق الذي لا يرضى عنه ، فضلا عن ان امتزاج روح شيلى الشعرية بالدراسات الثقافية كان امتزاجا طبيعياً مستساغا لا تكلف فيه وظهر شعره وكانما هذه الروح الفلسفية العالية جزء من فنه تزجيه موسيقاه الساحرة المشجية

وإذا كان صحيحا مايقول بعض الاطباء من أن مرض السل يشحذ الحواس وان كيتس — وقد انتقل اليه هذا المرض من أمه — كان نهماً إلى الاستمتاع بالجمال فى كل صوره ، وكان له بعض العذر فى الدعوة الى قصر الشعر على عبادة الجمال على أن ذلك لم يصرف كيتس عن معالجة ضروب من الشعر الفنى فاخرج بعض الشعر القصص والملاحم الرائعة قبل أن تعالجه المنية وهو فى عنفوان شبابه

وقد ذكرنا رأى كيتس فى الشعر وحللنا نظراته اليه تمهيداً للتحدث عن رسالة الشعر ورداً على بعض الآراء الحديثة فيه التى تقف عند نظرة كيتس اليها

والواقع ان رسالة الشعر الآن هى رسالة الادب اطلاقا . وهى رسالة الفن كذلك أو هى بالأحرى رسالة الحياة

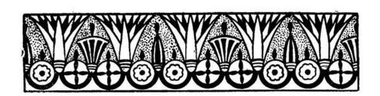
والفكرة الناضجة أو الخاطر الموفق أو السانحة الطريفة يسجلها الادب ويسجلها الشعر وتسجلها الموسيقى ، كل منها باسلوبه ويبرزها بوسائله ويفيض عليها روحه ويحيطها بخصائصه ، فالقصيدة الشعرية هى عند القصاص قصة شائقة الفكرة ، وهى عند الموسيقى لحن ساحر النغم ، وهى عند المصور لوحة تستوقف نظر المتفنن البارع ولا معنى لاقامة الحدود بين الآداب والفنون على الاطلاق

والشعر متأثر بظروف العصر والبيئة والشاعر كانسان حى مطالب بالترجمة عن شعور البيئة والتعبير عن خوالجها ورسم مثلها العليا وفى هذا التصوير لناحية من نواحى الانسانية التى يجب أن تكون موضع هتمام أهل الفن . وليس يستطيع ناقد منصف أن يجزم بان المصور أو الموسيقى أو غيرهما من الفنانين قد سلم من تأثير العصر والبيئة

وليست رسالة الشعر إلا تصوير الحياة كما يراها الشاعر وكما يجب أن يراها . وفى هذا التصوير تفسير لهذه الحياة وبحث لأسرار الكائنات وتعبير عن الاحساس بالجمال فى النظم وموضوعاته لانه لن ينال فى هذه الحالة إلا من فنه ، فيجب أن ينضج الموضوع فى خياله وفى تفكيره وفى عقله الباطن قبل أن يتهيأ لنظمه إذا أراد ألا يفقد شعره امتيازه الفنى ، ويخطىء من يحسب أن الشاعرية هى مجرد الموازنة على النظم والتقفيه وأن قوتها تساير القدرة على النظم فى أى ظرف وفى أى موضوع وهذه فكرة يجب أن تصحح عند فريق الشعراء المعاصرين الذين تتفاوت قيمة ماينظمون تفاوتا كبيرا مرده إلى دوافع النظم فشعرهم الجيد هو الذي تهيأت له الظروف التى أشرنا اليها وشعرهم الفج هو الذي نظم لمجرد اثبات المرونة على النظم وليس التفاوت فى شعر الشاعر إلا دليل الاضطرابات والاجداب . وقد قال أبو القاسم بن يحيى الامدي فى كتاب « الموازنة »

« وأما قول البحترى جيده خير من جيدى ورديى خير من رديه ـ والكلام عن أبى تمام ـ فهذا الخبر ان كان صحيحا فهو للبحترى لاعليه لان قوله هذا يدل على أن شعر أبى تمام شديد الاختلاف وشعره شديد الاستواء والمستوي الشعر أولى بالنقد منه من المختلف الشعر »

وليس من شك فى أن حياة أبى تمام التى كانت تضطره الى النظم فى ظروف لايتهيأ له فيها جو الشعر هى التى جعلت فى شعره هذا التباين الذى يعيبه صاحب كتاب « الموازنة » وتقدم عليه شعر البحترى من أجل ذلك



فكرة الله فى الفلسفة

النظرية الاجتماعية ترمى الى غاية بعيدة هى أن ترجع الى المجتمع وتفسر بالروح الاجتماعية جميع الظاهرات التى تحدثها ارادة الانسان أو يراها فكره أو يجدها ضميره وبمعنى آخر جميع مظاهر النشاط البشرى بما فى ذلك ما قد يعتقد أحيانا أن أصوله فى السماء أو فى صميم النفس الانسانية.

وتعتبر هذه النظرية الدين ظاهرة من الظاهرات الاجتماعية مثله مثل فكرة الله ، وتحاول أن ترسم خطواتها وتتبع آثارها من أول بدء الانسان بالحياة فى المجتمع وتساير تطورها ونموها حتى تبلغ منتهاها الذى هى عليه الآن

وكذلك دوركيم يرى أن فكرة الله ليست فكرة بسيطة تدرك بذاتها بالبصيرة والفطرة كما يقول بعض الفلاسفة ولكنها فى الواقع قمة تركيب ونهاية حياة متطورة ، وهو يردها الى المقدس الذى كان يعبده أجدادنا الهمج فى طور من أطوار حياتهم ، ويرى أن هذا المعبود يترجم عن روح المجتمع وقداسته وتشتق روحه من روحه

فهل حقيق أن فكرة الله ترجع إلى فكرة أبسطهى المقدس ؟ والجواب عن دوركيم بالايجاب وتؤكده عنده الاساطير فدراستها تدلنا دلالة واضحة على أن فكرة الآله المتحققة ذاته فى شخصيته أو الآله المشخص تسبق فى العقل البشري بتصور عام قوة مقدسة غير مشخصة

وكذلك معرفة أحوال القبائل البدائية التى تناهت فى بداءتها تدلنا على أن فكرة الالوهية بمعناها مفقودة بينهم فليس الذي يقدسونه كائنا أو شيئا مميزاً له خواص مقدسة ولكنه موزع بين قوى غير محدودة ، غير متميزة الذات حقيقة بان تقارن بالقوى الطبيعية . فى بعض المجتمعات البدائية يسود الاعتقاد فيما يسمى بالمانا « Mana » وهى قوي خفية سرية تحمل فى الاشياء والكائنات ويرجع اليها مايتميز به الشىء من قوة أو فضل ، فهذه القوى العامة غير المشخصة هى التى آلت فيما بعد إلى الآلهة كما نعرفهم

فاذا سلمنا مع دوركيم بان فكرة الله ترجع إلى فكرة المقدس العام ، وأنها كما نتصورها فكرة مركبة مشتقة من غيرها ، فيبقى أن نسأل من أين للانسان بهذا التصور عن القوة المقدسة الاولى؟ وعلى هذا السؤال يجيبدوركيم بانها تأتى من المجتمع وتتكون وتنمو فيه ، ويشرح ذلك فيقول انه فى الاعياد والاجتماعات والاحتفالات العامة حيث يلتقى الفرد ببقية المجموع ويشاركهم فيما يدعو اليه الحفل من غرض ويتأثر وإياهم بشعور واحد ، يجد الفرد احساسا بقوة جديدة يتغلغل

فيه ويسمو به ويمده بحياة لا يستطيع أن يحياها بمفرده . فاذا كان بصدد التفكير والتأمل فى هذه القوة الجديدة عجز عن أن يردها إلى أصلها الحقيقى وهو المجتمع وروح الجماعة فيرجعها عقله البسيط إلى قوة غريبة خفية فوق مايتناوله عقله من النظام الطبيعى

ومما أثبت لدوركيم أن هذه القوة المقدسة هى المجتمع بالذات أمران أنها تحوز الصفات التى يتصف بها المجتمع فى نظره فهى مثله تسيطر على نفس الفرد من مكانة سامية تعلو على الجميع ، ومع ذلك يشعر بها كل فرد كما لو كانت تنبع من صميم نفسه وقلبه ، وهى قوة ليست كالاشياء الطبيعية لانه يضيف اليها صفات انسانية ويضعها موضع التجلة والاحترام

والامر الثانى الذى يدل على انتهاء فكرة الله إلى المجتمع أن التطور الاجتماعى يفترق دائما أبداً بتطور فى فكرة الله لا تخفى أوجه التشابه والتقابل بينهما

ففكرة القوة غير المحدودة الغامضة توجد فى المجتمع البدائى حيث تنعدم شخصية الفرد وتمتزج بشخصية المجموع فلا يشعر بضميره الفردي متميزاً واضحا مستقلا وعندما يأخذ هذا المجتمع فى الترقى ويبدأ انقسامه الاول الى قبائل مختلفة يوجد فى كل قبيلة مقدس خاص بها تختاره تارة فى نوع من النبات أو نوع من الحيوان تعتقد بحلول المانا فيه وهو مايعرف بطوطم القبيلة . فلما أن تقدم الزمن بهذه القبائل واجتمعت باختيارها أو بقهر بعضها للبعض الآخر وتألفت فيها سلطة واحدة لها حق السيطرة على الجميع وجد المانا العام المطلق بجانب الآلهة المبعثرة المتميزة واقترن وجوده بوجود رئيس القبيلة الاعظم

فثبت بذلك عند الاجتماعيين أن الله فكرة مركبة خضعت لتطور طويل على مر السنين وأنها ترجع إلى أفكار أبسط منها منشؤها المجتمع بالذات

ووجه الاعتراض على الرأى الاجتماعى أن الدين يحوى من الافكار السامية مايتجاوز بسموه حدود المجتمعات مهما كان رقيها فاي مجتمع من المجتمعات يوحى بافكار هى مهما ترتقى وتتسامى تحوم حول شخصه ومنفعته ، فهى دائما مشبعة بالانانية وحب الذات وكره الغير والرغبة فى الاستيلاء والغلبة . أما الاخاء والعدالة والكمال فهى تصورات لا يتأتى للمجتمع أن يبديها ولا بد لها من منبع سواه سواء أكان فى السماء أم فى جوهر النفس البشرية

ويوجد سبيل آخر للاهتداء إلى الله وهو التصوف والحال هنا يختلف عما أسلفنا وصفه فى عرض وجهتى نظر الفلاسفة وعلى الاجتماع فالله هنا ليس فكرة مجردة بسيطة نبلغها بالمنطق والفكر ولا هو فكرة مركبة يهدى اليها استقراء أحوال المجتمعات البشرية ولكنه ماهية عليا حافلة بالحياة نشعر بها فى أعماق نفوسنا ونسعد بهذا الشعور بعد جهد جهيد تتكلفه النفس فى التأمل والتسامى

ومما يلاحظ على المذاهب الصوفية أن أهلها يعنون بتلك التجربة النفسية العليا التى تجذبهم اليها جذبا عنيفا يجعلهم قليلى الاحتفال بالتقاليد الدينية المحفوظة والطقوس الشكلية والكتب والتعاليم

لانهم يجدون جميع هذا بالاضافة إلى مايشعرون بارداً لاحياة فيه ، ولهذا وجد دائما بين المذاهب الصوفية والسنية تنافر وجفاء

ولكن لامحيد للصوفية عن التأثر بالدين السائد لأن الصوفى كغيره ينشأ على دين يتأثر به شطرا كبيراً من حياته فهما تفانى فى الجوهر فلا يمكن أن ينسى نسيانا تاما - الصور والاشكال. فهنا يمكن القول بان الصوفية كالفلسفة لاتنجو من أثر المجتمع وروحه

وبهذا ينتهى تصور الله الذى وجدناه فى بعض المجتمعات قوة عامة غير محدودة ولا شخصية إلى اله فردى شخصى حى يتفجر وحيه من قلب المتصوف العارف

وقد وجدت الصوفية تأييداً من بعض الفلاسفة أنفسهم فباسكال يقرر أنه توجد ثلاث وسائل للاعتقاد : العقل والتقليد والالهام ، والالهام وحده هو الذى يهدينا إلى الله ، وأما العقل والتقليد فيمهدان ويساعدان ويتعذر أن يوفيا بالغرض وحدهما ، فالبراهين الميتافيزيقية تمتنع على غير كبار المفكرين وحتى هؤلاء لايدوم تأثيرها فيهم إلا حين يتأملونها ، ولايأمنون الزيغ عند انصراف عقولهم عنها إلى غيرها مما يسترعى التفكير والتأمل ، أما الشعور بالله شعوراً أبديا فيتحقق بالسمو اليه والاتصال بذاته والامتزاج بجوهره

وفلسفة برجسون تعتبر امتداداً لفلسفة باسكال وتتصل عن قرب بالصوفية

وبرجسون يتكلم فى فلسفته عن وسط تنطلق منه العوالم كالاسهم الناريه ، وهو ليس شيئا جامداً ولكنه حياة مستمرة منطلقة حرة . هذا الوسط هو الله وهو خالق حر خلق المادة والحياة وخلق الانسان ، وقد وجدت فى الانسان قوة مبدعة من شأنها أن تتم عمل الله فى الخلق والابداع فكأن قوة الله المبدعة لاتنحصر فى ذاته ولكنها تمتد إلى المخلوقات الراقية

والآن فلنسأل أنفسنا هذا السؤال : ما الذى تتركه فى النفس جميع هذه الآراء من الاثر ؟

ان البراهين العقلية تمهيد حسن و لفت قيم ولكنها لاتبلغ بالانسان درجة الاعتقاد الحقيقى ، وإنى لأجد نفسى بعد الاطلاع عليها حيث كنت من القلق والاضطراب

والرأي الصوفى يقف الانسان حياله مكتوف اليدين لانه حياة لايشعر بها إلا من يحياها ، ولكن تجربته تشمل الحياة باسرها وهى أعز من أن يجازف بها الانسان

على أن الله موجود فى صميم القلب بمعنى آخر اذ توجد عاطفة التدين فى النفس الانسانية وهى شعور انسانى جوهره السمو ومظهره آيات التقديس والجلال التى نعبدها فى النفس والطبيعة وقد يغالى الاجتماعيون عندما يردون هذا الشعور الى المجتمع كما قد يخدع الفلاسفة عند مايتصورونه أفكارا مجردة قوامها المنطق

نعم ان الله الذي تعرفنا به الكتب المقدسة فوق كل برهان أو دليل ولا حيلة للانسان فى الايمان به أو الانكار له ولكن يبقى لنا ايماننا الطبيعى الذي به نقدس ونمجد كل جليل وجميل فى النفس والكون

نجيب محفوظ

مغزى الآلات ومستقبلها

لسلامه موسى

الآلات الآن هي ركن الحضارة الحديثة . وهى كذلك سواء أكانت للخير أم للشر . ويمكن أن تقاس الامة المتحضرة بمقدار ما عندها من آلات مختلفة كأن تقول مثلا أن هذه الامة اكثر حضارة من تلك لان متوسط ما تنفقه من الوحدات الكهربائية أكبر . أو لان عدد الموطرات التى تستعملها فى المصانع أو الطائرات أو حتى الاتومبيلات أكبر . وهذا كما نقول ونكرر أنه مقياس للحضارة فقط سواء أكانت للخير أم للشر . فان الحضارة الآلية تحتوى على كثير من الشرور . ولكنها هى الحضارة المتفوقة السائدة الكاسحة التى تهزم كل من يعترضها

ويمكنا أن نعرف أن الآلات هى ركن الحضارة الحديثة من ناحية واحدة هى اسوأ نواحيها وهى أنها الاصل لمعظم المشكلات الحديثة الخطيرة . فى العالم الآن مثلا أربع مشاكل متداخلة الواحدة فى الأخرى أو محدثة الواحدة للاخرى وجميعها ترجع الى الآلات

١ ـ أولى هذه المشكلات التى تبرز أمامنا سببا قويا للحرب أو النزاع المستمر سواء فى الشرق الاقصى أو البحر المتوسط أو غيرهما هذه الحاجة التى لا تنقطع للمواد الخامة . فان المصانع التى تديرها هذه الآلات تحتاج الي الفحم والبترول والصوف والقطن والحديد والنحاس والنيكل . والامة الصناعية التى تتمتع أو تكابد حضارة الآلات ترضى بان تضحي بأى شيء للحصول على هذه المواد ولو ساقتها هذه التضحية الى الحرب

٢ ـ والمشكلة الثانية هى كثرة الانتاج . فان الآلات لا تعمل كالانسان بيد من لحم ودم يصيبها الاعياء أو تحتاج الى الراحة . إذ هى حديد ونار يمكنها أن تعمل ٢٤ ساعة فى اليوم على طول العام تقريبا . ولذلك فانها تنتج انتاجا هائلا تزحم به الاسواق أو لا تجد من يشترى منتجاتها الكثيرة

٣ ـ مشكلة ثالثة هى استغنائها عن عدد كبير من العمال . لان المخترعين يوالونها بالاختراعات المطردة وغايتهم أن يقتصدوا فى التكاليف . وأكبر هذه التكاليف هى بالطبع أجور العمال . فالمخترع يعصر ذهنه لكى يقتصد فى أجرة العامل باستخدام أقل عدد ممكن ويجعل الآلة بحيث تعمل

وحدها أو كأنها كذلك باشراف عدد قليل من العمال . فتكون النتيجة تكاثر العاطلين

* * *

والآلات هى السبب لكل هذا . سبب لحرب الاستعمار وسبب كثرة الانتاج والعطل

والمغزى أن الآلات متقدمة والاجتماع متأخر وبكلمة أخرى قد كثرت مخترعات الآلات ولكن ليس هناك مخترعات اجتماعية تجارى التقدم فى الآلات . فمثلا قاعدة الذهب للنقود كانت من المبادىء الاقتصادية التى تخدم الهيئة الاجتماعية التى تعيش على الزراعة . وهى هيئة قليلة الانتاج قليلة الاستهلاك فكان يكفيها مقدار من النقود لا يكاد يزيد سنة بعد أخرى . ولكن الهيئة الاجتماعية التى تعيش على الصناعة أى صناعة الآلات تكثر من الانتاج فهى فى حاجة الى مقدار كبير جدا من النقود لكى تشترى ما أنتجته . فانها تملك الآلات التى تنتج فيجب ان يكون لديها من النقود ما يكفى لشراء ما أنتجته

ولكن الواقع الآن أن النقود القائمة على قاعدة الذهب أو حتى التى خرجت عنها ولكنها تشتبك بها من بعيد لا تكفى للموازنة بين المستهلكين والمنتجين

ومثل آخر . هذا الالتزام للطرق القديمة فى استخدام العامل معظم النهار كأنه فى بيئة زراعية تطلب منه أن يكدح ويتعب . مع أن المصانع يمكنها أن تقنع من كل عامل بساعات قليلة جدا بالمقابلة الى عمله الحاضر . وهى لو فعلت ذلك لاستخدمت العاطلين

ومثل ثالث : هذه الفاقة العامة بين طبقة كبيرة من الامة هى فاقة تبدو فى سوء المسكن والملبس وقلة وسائل الرفاهية مع أن الحضارة الصناعية يمكنها أن تكفى كل فرد فى الامة حاجاته الى الرفاهيه بل الى ألوان من الترف هى الآن مقصورة على طبقة صغيرة من الاغنياء

* * *

يجب أن نخترع المخترعات الاجتماعية لكى تلائم المخترعات الآلية . لان الآلات على خطورتها لا تقف إذ هى فى تقدم مطرد . فاذا ترك الاجتماع على ركوده وبقيت الآلات فى تقدمها فان الانفصال ينفرج بين الاثنين حتى يعود هوة عميقة

* * *

ويمكننا أن نبين ما نقصد اليه من مغزى الآلات وضرورة اختراع المخترعات الاجتماعية بما حدث فى آلات الحرب . فان هذه الآلات تقدمت تقدما عظيما جدا كما نعرف أو نسمع عن

الأساطيل البحرية والجوية والغازات . ولو تركت هذه الآلات تتقدم بروح المباراة بين الدول وطمع كل منها فى التوسع والاستعمار لاصبحت خطرا لا يقاس اليه خطر الاوبئة والطواعين والمجاعات

ولكن الامم الحربية الكبرى فطنت الى أنه يجب أن يخترع من المخترعات الاجتماعية ما يمكن أن يمنع خطر هذه الآلات . فكانت من ذلك عصبة الامم

عصبة الامم هى اختراع اجتماعي يراد به أن يقلل من خطر الآلات الحربية أو أن يزال هذا الخطر عن سبيلها

* * *

وهذا هو ما يجب أن يكون فى سائر المخترعات الآليه . فان المصانع التى تخترع المقادير العظيمة من الادوات والسلع والبضائع مع أنها لا تعمل إلا بأقل عدد من العمال يجب أن تجد اختراعا اجتماعيا جديدا يلائم تقدمها فى اختراع الآلات حتى تستوعب الامة منتجاتها . وهذا الاختراع الاجتماعى يجب أن يتجه نحو زيادة القدرة عند الجمهور على شراء هذه المنتجات . لان الالات اذا اطردت فى تقدمها وبقى الاجتماع راكدا لم تثمر هذه الحال غير العطل والفاقة مع وفرة الانتاج . وعندئذ لا يكون غير السخط والاضطراب

* * *

ان العالم المتحضر هو الآن فى دهشة المخترعات الآلية وهو يقاوم المخترعات الاجتماعية لانه لا يحب ان يفارق عاداته وما الف من عيش . ولكن رويدا رويدا تبرز هذه الحقيقة المؤلمة حتى للعامة وهى التطور السريع فى المخترعات الآلية والبطء بل الركود فى الاجتماع

لقد مات قبل أشهر شاعر أديب ارلندى هو جورج روسل . وكان هذا الشاعر مصلحا اجتماعيا يطلب نقل الحضارة من المدينة الى القرية وكان يرى أن العالم قد وصل الى حال من التطور تمكنه من أن يجمع بين جمال الطبيعة فى الريف وبين وسائل الرفاهية فى المدينة . وقد حاول أن يحقق هذا الخيال الجميل فى ارلندا عن طريق التعاون . ولكن التعاون مع أنه من أثمن المخترعات الاجتماعية الحديثة - لا يكفى للانتفاع بكل ما أثمرته الآلات من متع . ولابد من اصلاح النقد ومن تدخل الحكومة بالاشراف والمراقبة فى توزيع المنتجات

* * *

وليس اليوم بعيدا إذا عنيت الحكومات بالمخترعات الاجتماعية كما عنى أصحاب المصانع بالمخترعات

الآلية أن تصل الهيئة الاجتماعية فى وقت قريب الي المساواة بين الانتاج والاستهلاك . فما تخرجه المصانع لا يتكدس فى المخازن بل ينقل الي المنازل للاستمتاع . فان العقدة القائمة الان هى الوصول الي ايجاد المقدار الكافى من النقود لايصال المنتجات الى المستهلكين

وليست هذه العقدة كبيرة . ولا هي مما تحتاج الى ثورة أو قلب النظام الاجتماعى . ولكن كل مافيها أنها تخالف المألوف . وليست النقود فى ذاتها ثروة وانما هى وسيلة لنقل الثروة من شخص الى آخر . فالتنقيح والتبديل فى هذه الوسيلة ضروريان كلما طرأ طارىء يؤخر هذا النقل .

وهذه الأزمة التى لايزال العالم يكابد اثارها لم تجد من كل العلاجات التى عولجت بها ما كان مخففا من هذه الاثار سوى زيادة النقد فى ايدى المستهلكين فان الأمم الكبرى مثل الولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا اخترعت الوسائل لايصال النقود الى ايدي الجمهور لكى يجد القدرة على شراء المنتجات . وحتى عند ما لم تجد العمل الذى تطلبه جزاء منح النقود منحتها بلا جزاء . فالعاطل يحصل على جزاء نقدى على عطله . والشيخ الذى فات الستين أو الخمسة والستين يحصل على جزاء نقدى بلا مقابل . ولولا هذه المخترعات الاجتماعية لفدحت الازمة وكنا عندئذ نرى جماهير عظيمة من الناس يموتون من الجوع أو العرى فى الوقت الذي تمتلىء فيه المخازن بالقمح والاقمشة

***

وكل يوم يزيد الآلات قوة التفشى . فان القوة الكهربائية قد الغت الخدم من الولايات المتحدة الغاء يكاد يكون تاما وهي تغزو الريف بعد أن غزت المدن . ثم هذه القوة نفسها تزداد تفشيا لان طريقة توليدها من الفحم تنخفض سنة بعد أخرى فى التكاليف حتى انها الآن لا تبلغ نصف تكاليفها سنة ١٩١٥ . وقد حولت القوة الكهربائية المنازل الراقية الى مصانع صغيرة تبرد وتدفأ وتضاء وتنظف وتتصل بانحاء المدينة بل بانحاء العالم تحت الطلب . وهى مع ذلك فى بدايتها . والممكنات المنتظرة منها فى المستقبل القريب تكاد تتجاوز الخيال . وأقل ما يقال فيها أنها سترفع مسكن الفقير وتزوده بميزات المسكن الغنى . وانها ستؤدى لكل فرد من الخدمات مالا يقوم به عشرات الخدم

وقد ذكرنا « مسكن الفقير » ولكن تقدم الآلات الحاضر يجب ألا يترك مكانا للفقير فى العالم لان الآلات تستطيع أن تغمرنا بأكثر من حاجاتنا من الطعام واللباس ووسائل النقل والاستمتاع

وتقدم لنا أحسن المساكن وأجمل المدن . وهذا بشرطين اثنين الأول أن نترك هذه الالات تعمل بنشاطها الكامل فى الزراعة والصناعة حتى تنتج أقصى ما يمكنها . والثانى أن نخترع من المخترعات الاجتماعية ما يمكنا من ايصال منتجاتها الى الجهور

وهذان الشرطان للاسف لا وجود لهما . فان المصانع معطلة . وعطلها يعنى عطل العامل . ثم هو يعنى أيضا حرمان الجهور من منتجاتها . وهى لو عملت وأخرجت منتجاتها لما وجد الجهور النقود لشرائها .

* ٥ *

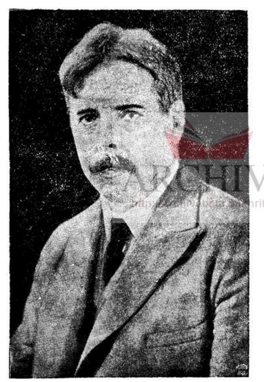
وجميع الأمارات تدل على أن الآلات تزداد قوة وأن هناك مصادر مثل الرياح والمياه الساقطة وغيرها لم تستغل . وهى عند ما يمكن استغلالها ستجعل الانتاج أكبر مما هو الآن . فاذا لم يكن هناك نظام للتوزيع يتكافأ وهذا النظام للانتاج فان الفاقة تزداد وسط الثروة . وعندئذ لا يكون غير الاضطراب





ادوارد لى ثورنديك

ولد ثورنديك فى الولايات المتحدة الامريكية عام ١٨٧٤ وبدأ حياته العملية عام ١٨٩٨ بالتدريس فى جامعة كلومبيا حيث تألق نجمه وذاع صيته بفضل بحوثه الدقيقة فى علم النفس فهو واضع اساس علم النفس التجريبى وقد استعان به فى اكثر بحوثه العلمية التى تزيد على الاربعمائة جمعت بين دفاتها خير ما أخرج العقل البشرى لاسمى العقول البشرية وكشفت ما غمض من أسرار الطبائع الانسانية .



ادوارد لى ثورنديك

وله أكثر من أربعين مجلداً وصفها احد العلماء الافذاذ بقوله « ان هذه المجلدات الكبيرة ، بما دون فى بطونها من الارقام ، وماحوته صفحاتها من التجارب العلمية لم يستطع أحد من العلماء طيلة خمس وثلاثين سنة الى يومنا هذا أن يطعن فى صحة حرف منها أو يبرهن على عكسها او يستدل على عدم توخى صدق والدقة فيها »

لاشك أن ثورنديك زعيم علماء النفس بلامنازع فانت لاتقرأ كتابا من كتب التربية أو بحثا فى علم النفس دون أن تجد فيه أثرا من آثار ثورنديك للاستشهاد برأيه أو للايضاح

وقد فطنت حكومة الولايات المتحدة الامريكية لعبقرية ذلك الرجل فلجأت اليه فى الحرب العظمى ليعاونها على تنظيم الجيوش اذ عينته رئيس اللجنة المنوط بها الفحص عن الجنود فحصا علمياسيكلوجيا وتوجيه كل واحد للعمل الذى يحسنه ويجد فى أدائه اشباع ميوله ورغباته وقد أدى عمله على اساس علمى منظم

ويرجع الفضل الاكبر في شهرة جامعة كلومبيا ومكانتها السامية بين جامعات العالم الى مجهودات ثورنديك العلمية . وهو مازال بها مديرا لقسم الابحاث النفسية بكلية المعلمين . وهذه المجهودات ثروة كبيرة يغذى بها علم النفس فقد اخرجته من العلوم التخمينية الافتراضيه الواهية الاساس الى العلوم الدقيقة المشيدة على دعامة متينة من التجارب المعززة بالارقام والشواهد

واذا كانت مباحث ثورنديك متشعبة النواحي لايحدها حصر فانه عنى عناية خاصة بدرس مقدرة الانسان على التعلم ، نشأتها وتطورها والعوامل التى تؤثر فيها والزمن الذي تبلغ فيه أشدها ثم هبوطها ومقدار ذلك الهبوط وأسبابه الى هذا البحث الذى تتوقف عليه الحضارة الانسانية اذ هي ثمرة النبوغ الانسانى بدرس الظاهرات الذهنية فى الحيوان فابتكر لذلك طريقة التيه او اللبرنت « بيت جحى » وهى ذات مسالك متعددة ولكنها ذات مخرج واحد . فيبدأ الحيوان بالطريق التى تصادفه وعندما لا يجدها تؤدى الى المخرج يجرب غيرها وهكذا الى أن يعرف الطريق المؤدية الى الباب . ومتى تكررت هذه التجربة ، يقل الزمن الذى يوفق فيه الى العثور على الطريق السوى وينقص عدد المحاولات تدريجيا حتى يمكنه معرفة الطريق الصحيحة من أول مرة وتعرف هذه « بالتعبيث »

ما استنتجه ثورنديك من نقص محاولات الحيوان كل مرة حتى يهتدى الى المخرج :

قوانين التعلم

١ — قانون التكرار أو الاعادة أو التمرين

٢ — قانون الأثر النفسى

٣ — قانون الرغبة (الاستعداد)

تطبيق هذه القوانين فى المدرسة

التعلم فى الكبر

لمؤلفه ادوارد لى ثورنديك

يشمل هذا الكتاب نتيجة تجارب وأبحاث سنتين . والغرض منه تقرير حقائق عن مدى التغيرات التى تطرأ على مقدرة الانسان على التعلم من سن الخامسة عشر الى سن الخامسة والاربعين

ولهذا البحث أهمية خاصة للمعاهد العلمية والخيرية كجمعية الشبان المسيحية والمدارس الليلية ومدارس المراسلات التى تضخم بين جدرانها عددا عظيما من الشباب والكبار الطامحين فى مواصلة التعلم. ومدرسو هذه المدارس فى حاجة الى تفهم عقلية طلابهم ومبلغ تأثرها بالسن والا لما استطاعوا القيام بواجبهم على أحسن وجه. ولا يمكن الاعتماد على مبلغ تقدم طلبة هذه المعاهد لاستخلاص نظرية ثابتة عن التعلم فى الكبر فانه يجب مراعاة كافة الظروف التى تحيط بهؤلاء الطلاب. فهل هم من الافراد الاذكياء الشغوفين بازدياد معلوماتهم ام هم من البلداء الذين قضوا وقت الطفولة والصبا فى اللهو واللعب فكان عليهم ان يحصلوا فى الكبر ما فاتهم فى الصغر ؟

هذه اسئلة لم يستطع الاجابة عليها علم النفس او علوم التربية. وليس أمامنا سوى أمثلة بالية لاتستند الى العلم فى شىء كقولهم « التعلم فى الصغر كالنقش على الحجر » وكقول جيمس « كل مايتعلمه المرء قبل سن الخامسة والعشرين هو فقط مايبقى عنده ويؤثر فيه كل حياته اى ان الانسان لا يستطيع ان يتعلم شيئا جديدا بعد تلك السن فان حب الاستطلاع — على مايقولون — يكون قد خمد، وتكون الخلايا الذهنية قد تكونت واستقرت، وتكون قوة هضم المعلومات قد وهنت. وهناك رأى سائد آخر يقول « كلما زاد عمر المرء بعد البلوغ قلت مقدرته على التعلم وزادت يقظته ومقدرته على استخدام معلوماته. غير أن العلم لم يصل الى رأى قاطع أو نظرية يمكن الاعتماد عليها تثبت أن مقدرة التعلم فى الطفولة والمراهقة أقوى منها فى الشباب والكهولة. ومباحث هذا الكتاب تضع أمامنا نتائج التجارب التى قام بها ثورنديك فى هذا الشأن وهو يترك للعلم فى المستقبل تأييد نتائجه أو مناقضتها

اذا كان علم النفس لم يقرر الى الآن وجود علاقة بين العمر والمقدرة على التعلم فان سجلات المشتغلين بالتربية مفعمة بحقائق عن تعلم المتقدمين فى السن بسرعة كبيرة وفى نواح متعددة كضبط الاعصاب، والمهارة اليدوية، ودقة الملاحظة « واكتساب عادات عقلية، وقد أثبتت التجارب التالية هذا التقدم

ضبط اعصاب الحركة

طلب من المجربين عدم تحريك رموش العين عند ضرب جرس أمام عيونهم فتقدموا كلهم بعد عدة محاولات. واليك نتيجة احدهم عن مقدار نجاحه فى كل مائة مرة ضرب فيها الجرس على التوالى صفر، صفر، ٢ ـ ٤ ـ ٤ ـ صفر ـ ٨ ـ ٢ ـ ٦ ـ ٤ ـ صفر ـ ٨ ـ ٤ ـ ٢١ ـ ٣٢ ـ ٦٥ ـ ٣٩ ـ

٨١ ـ ٨٣ ـ ٧٧ ـ ٩٢ ـ ٨٦ ـ ٩٩ ـ ٨٨ ـ ٩٨

دقة الملاحظة : أعدت ورقة بها أرقام بينهـا اصفار . وطلب الى المجربين أن يضربوا على كل صفر فيها فى أقل وقت . فكانت النتيجة فى بادىء الامر شطب ٤٥ صفرا فى دقيقة وبعد اعادة الاختبار عشرين مرة استطاعوا شطب أصفار بسرعة ١٠٠ فى الدقيقة

تكوين عادات بسيطة : استعمل الآلة الكاتبة « التايبريتر » روعى فى الممتحنين ان يكونوا ممن لم يسبق لهم استعمال « التايبريتر » وأعطيت لهم قطعة مكتوب به لنقلها على الآلة الكاتبة فى أقل زمن فكان متوسط التحسن من ٣٠ كلة فى الدقيقة الى ٩٠ كلمة بعد تمرين ١٥ ساعة ثم بلغت نهاية التحسن الى ١٦٠ كلة فى الدقيقه

تكوين عادات عقلية بسيطة . كان موضوع هذه التجربة أشخاص تتراوح سنهم بين الثانية عشرة والخامسة والثلاثين وطلب منهم جمع أرقام لمدة سبعة أيام أعطى لكل منهم ورقة فى اليوم بها ٤٨ عدداً كل عدد من ١٠ أرقام فكانت الاوراق السبع التى أعطيت لهم فى السبعة الايام متشابهة فوجد ثورنديك فى اليوم السابع تحسنا واضحا فى سرعة الجمع وعدم الخطأ

تحسين الذاكرة . تجربة استظهار قائمة كلمات عددها ٤٨ (لا معنى لها) وكل كلمة مكونة من ١٢ مقطعا وأعطي لهم كل يوم أربع كلمات فاستغرق فى استظهار كلمات اليوم الاول اعادتها ١٢ مرة بينما استغرق استظهار الاربع كلمات الاخيرة اعادتها ٤ مرات

تدل نتائج هذه التجارب على أن للكبار مقدرة على التعلم وانهم يتمتعون بمرانة ذهنية كالصغار

مقارنة بين المقدرة على التعلم عند الكبار والصغار

أجريت تجارب عدة على عدد من الكبار وعدد آخر من الصغار تحت مؤثرات واحدة من بيئة مماثلة لمعرفة الفرق بين مقدرة التعلم عند كل منهما

١ ـ ثلاثة أشخاص عمر كل منهم ٣٢ سنة وثلاثة آخرين عمر كل منهم ٢١ سنة طلب منهم رمي كرة فى سلة فكانت نسبة الاصابات للمجموعة الاولى ٢٨٫٣ ٪ وللثانية ٢٥٫٨ ٪

٢ ـ أفراد التجربة أطفال ومراهقون وشباب من طلبة الكليات وكهول تتراوح أعمارهم بين ال ٦٠ ـ ٨٠ وطلب منهم تتبع رسم فى أيديهم معكوس فى مرآة على أن ينظروا فقط فى المرآة . فرأى تحسنا ظاهرا فى الأول سماه المقدرة على المطابقة وتحسنا بطيئا فى المراحل الاخيرة سماه « المقدرة على الثبات » ورأى أن قوة ثبات الطفل ٨ سنوات تبلغ ٦٥ ٪ منها فى

المراهق وهى فى طفل عمره عشر سنوات ٧٥ ٪ منها فى المراهق وشوهد ان تصور الكبار على المطابقة أقل منها فى الصغار

٣ — الذاكرة . تجربة استظهار عبارات خاصة . والنتيجة تدل على أن الكبار أقدر فى هذا الميدان من الصغار مع العلم بأن المرء فى سن ال ٢٠ ــ ٢٥ أقدر على الاستظهار منه فى أى سن اخرى

٤ — المقدرة على تعلم لغز حسابي . وكان الممتحنون من طلبة الكليات مع طلبة المدارس الابتدائية (١٣ ــ ١١ سنة) وروعى فى اختيار كل من الفريقين أن يكونوا من الاذكياء . وكان فوز أقدر الاطفال مماثلا لفوز أقدر طلاب الكليات . وأجريت نفس التجربة على (ك) البالغ عمره ١١ سنة وأبيه دكتور فى الفلسفة وقد تعلم الابن ٧٦ مسألة بعد ١٤٦ محاولة وتعلم أبوه ٨١ مسألة بعد ١١٦ محاولة

نستطيع أن نستنتج من التجارب التى ذكرتها الحقائق الثلاث الآتية :

١ — إذا كان هنالك فرق فى مقدرة التعلم فى الكبار والصغار فهو فرق ضئيل اذا قورن بالفروق التى نشاهدها بين أفراد كل من الجماعتين على حدة

٢ ــ اذا كانت جميع العوامل والمؤثرات مماثلة فى جماعتين لا فرق بينهما الا اختلاف السن أى ان تتكون الاولى من الصغار والاخرى من الكبار فان الفرق فى المقدرة على التعلم بين هاتين الجماعتين يكاد يكون صفرا

٣ ــ تدل جميع التجارب ونتائجها التى وصل اليها الباحثون فى هذا الموضوع ان فى كبار السن كما فى الصغار نسبة متعادلة بين متفوقى الذكاء ومتوسطيه وقليلى الذكاء

لاتغنى التجارب السالفة عن مقاييس أدق لمعرفة فرق المقدرة على التعلم وذلك أولا بقياس نسبة التقدم فى التعلم وثانيا قياس الذكاء ثم مقارنة نسبة التقدم عند مماثلى الذكاء من الصغار والكبار

أجريت لذلك عدة تجارب فى مختلف العلوم كالقراءة والكتابة والحساب والجبر واللغة الانجليزية الخ

الكتابة باليد الشمال : من ٢٠ ــ ٩٧ وجد فرق طفيف بين الصغار والكبار فمع أن تحسن

الصغار فاق فى أول الامر تحسن الكبار فان استمرار التحسن عند الاخيرين كان أكثر منه عند الاولين

تعليم الاسبرنطو : أختيرت اللغة الاسبرنطية لانها لغة جديدة يتساوى في جهلها الطفل والرجل ويبين النجاح فى دراستها مقدرة متعلمها على الدراسة المنطقية الذهنية المنظمة فى كافة الدراسات الاخرى . وكان موضوع التجربة ٤٨ طالبا من طلبة احدى الجامعات تتراوح أعمارهم بين العشرين والسابعة والخمسين . وكانت مدة الدراسة عشرين ساعة ، عشر منها فى الفصل وأخرى فى الدراسة الفردية خارج الفصل . ثم أخذت النتيجة وقورن بين الطلبة بعد تقسيمهم الى جماعات ثلاث باعتبار أعمارهم وكان عدد الجماعة الاولى ١٨ (٢٠ ــ ٢٥ سنة) والثانية ٩ (٢٦ ــ ٣٤ سنة) والثالثة ٢١ (٣٥ سنة الى مافوق) وكان جميع الافراد متساوين فى الذكاء .فأحرزت الجماعة الاولى ٣١ر٥٪ والثانية ٢٦ر٣ ٪ والثالثة ٢٤ر٧ ٪ وكان الاختبار الذى أعطى لهم أربعة أنواع تركيب جمل وأسئلة تحريرية ، وأخرى شفوية ، وقراءة . ويرجع تفوق الجماعة الصغيرة السن إلى تفوقها فى الاختبار الشفوى أما الاختبارات الاخرى فلم يكن فرق يذكر . ودلت اختبارات أخرى على ان الصغار (٢٠) سنه يفوقون الكبار فى المسائل المنطقيه الشفويه . ودلت اختبارات أخرى علي ان مجموعه من الطلبه تتراوح أعمارها بين (٩ ــ ١٨ سنة) درست الاسبرنطو فى ضعف المدة التى درسها فيها المجموعات الثلاثة التى أشرنا اليها وكان مقدار تحصيلها نصف محصول الكبار . وهذه النتيجة تعارض الرأى القائل ان أنسب وقت لتعليم لغة من اللغات (قراءة وكتابة وفهما) هو وقت الطفولة ويليه فى الاهمية وقت المراهقة (١٣ ــ ١٩ سنة)

مقدرة التعلم عند ضعيفى الذكاء

أجريت عدة تجارب على ضعيفى الذكاء من المسجونين فى سجن سنج سنج حيث يقسم نزلاء السجن الى سبع جماعات حسب تفاوت درجة الذكاء . وقد وجد أن قليلي الذكاء فى سن الاربعين أقدر على التعلم منهم فى سن الطفولة والمراهقة . وهم فى تلك السن أقل مقدرة عنهم فى سن العشرين بمقدار زهيد جدا يقدرونه بنصف فى المائه

مقدرة التعلم عند متفوقى الذكاء

اثبتت التجارب أن مقدرة التحصيل عند الطلبة البالغين من العمر ٣٠ عاما أو أكثر تفوق

مقدرة الطلبة بين (١٤ـ١٦ سنه) وتزيد قليلا على مقدرة طلبة (١٧ـ١٩سنه) وتماثل مقدرة من فى سن (٢٥ـ ٢٩سنه) وتقل قليلا عن الطلبة الذين بين (٢٠ـ ٢٤سنه) . هذه نتيجة أجريت على ٨٨٦ طالبا من طلبة مدرستين ليليتين . أما الذكاء فوجد أن مجموعة الثلاثين فما فوق أعلى المجموعات ذكاء وتليها مجموعة (٢٠ـ ٢٤ سنه) وتقل عنهما مجموعتا (١٤ـ١٦) ، (١٧ـ١٩) تكادان تتماثلان. أما فيما يختص بالمواظبة فكانت مجموعة الثلاثين فما فوق الاولى أيضا

ماذا يقول المتعلمون عن مقدرتهم على التعلم

نتائج التجارب السابقة تدل دلالة واضحة على أن فى مقدور الكبار أن يتعلموا بسهولة وسرعة غير أن المشاهد يخالف هذه الحقيقة . فلنا أن نتساءل عما عساه يكون السبب فى تأخر الكثير ما دامت المقدرة على التعلم متوافرة . وللاجابة على هذا السؤال رأينا أن نستطلع رأى عدد كبير عن اختبارهم الخاص بمقدرة التعلم منذ الطفولة حتى الوقت الحاضر . وضعنا لهذا الغرض ٨٣ سؤالا وجهناها الى ٣٩ شخصا مما يزيدون على الاربعين عاما ، ٤٣ شخصا ممن تتراوح اعمارهم بين (٣٠ـ٣٩سنه) ، ١٧ شخصا من (٢٠ ـ ٢٩ سنه) وتوخينا أن يكون بين المجموعة التى وجهت اليها الأسئلة مدرسون وفنيون وبعض ربات البيوت وغيرهم ممن أخذوا نصيبا متساويا من التعليم الجامعي . أما الاسئلة الموجهة اليهم فانى سأذكرها حرفيا لاهميتها وعسى أن يكون بيننا من يريد أن يجيب عليها لفائدته الشخصية

متى « فى اى سن » تسلمت ما يأتى . واذا كنت لم تتعلم هذه الاشياء فاذكر اذا كنت تستطيع تعلمها الآن

أسئلة ١ ـ ٤٠ متى تعلمت السباحة ، الانزلاق على الجليد ، الرقص ، قيادة السيارات ، التجديف ركوب الخيل ، ركوب الدراجه ، التوقيع على البيانو ، والكنجه ، والكتابة على الآله الكاتبة ، أكل الطماطم ، شرب الشاي ، القهوة ، المسكرات ، التدخين ، ابطال شرب الشاى ، القهوة المسكرات ، التدخين ، قراءة فرنسى ، المانى ، لاتينى ، تكلم الفرنسية ، الالمانية ، اللاتينية ، الاختزال ، لعب الشطرنج ، الخطابة فى الجمهور ، س ٤١ ـ ٨٣ الغرض من الاسئلة التالية هو معرفة السن التى استطاع فيها هؤلاء تغيير آرائهم أو خطتهم بازاء مسائل خاصة

٤١ ـ هل تخاف أو تتضايق من الرعد

٤٢ ـ هل كنت في اي وقت مضى تخاف أو تتضايق من الرعد
٤٣ ـ في اي سن أمكنك التغلب على الخوف والمضايقه
٤٤ ـ هل تخاف أو تشمئز من الثعابين (٤٥) ..... (٤٦) ......
٤٧ ـ هل تخاف أوتشمئز من رؤيه الفيران (٤٧) ..... (٤٩) ....
٥٠ ـ هل يزعجك منظر أو رائحة الدم (٥١) ...... (٥٢) ....
٥٦ ـ هل انت عضو فى هيئة دينية أو كنائسية (٥٧) فى أى سن اصبحت عضوا فى الكنيسة
٥٨ ـ هل انت مواظب على الذهاب للكنيسة (تحضر ٣٠ مرة فى السنة على الاقل)
٥٩ ـ اذا كان جوابك بالسلب ففى اى سن انقطعت عن مداومة الذهاب للكنيسه
٦٠ ـ هل تعتقد أن يونان عاش فى بطن الحوت (٦١) هل اعتقدت ذلك يوما ما (٦٢) متى يثبت رأيك
٦٣ ـ هل تعتقد أن يهوذا الاسخريوطى ونيرون ومن على شاكلتهم يقاسون الاما جسيمة فى مكان يسمى جهنم
٦٤ ـ هل اعتقدت ذلك يوما ما (٦٥) فى اى سن غيرت رأيك
٦٦ ـ هل تعتقد انك بعد موتك ستحيا مرة أخرى فى عالم يشبه عالمنا حيث ترى وتسمع وتتكلم وتلعب وتتحرك مع أشخاص آخرين (٦٧) هل اعتقدت بهذا يوما ما (٦٨) ومتى غيرت رأيك
٦٩ ـ هل تعتقد أن اليهود لا يستحقون التقدير والاحترام مثل المسيحيين ـ (٧٠) . . (٧١)
٧٢ ـ هل تعتقد أن انجلترا كانت مخطئة على الاقل ٨٠ ٪ . والمستعمرات كانت على حق ٨٠ ٪ فى المنازعات التى ادت الي حرب الثورة
٧٨ ـ هل تعتقد الان أن الحزب الجمهورى اسمى وأرفع شأنا من الحزب الديموقراطي . . . هل تعتقد العكس ؟

وكانت نتيجة الاجابات باختصار كالآتي :

تعلم السباحة والانزلاق والرقص (وهي تمثل المقدرة على تعلم الالعاب الرياضية) تحدث فى أى عمر حتى سن الخمسين حسب تأثير العادة والميل الشخصى فان تعلم السباحة غالبا يأتى متأخرا لاسيما عند السيدات وكذلك الرقص لاسيما عند الرجال . ويستخلص من الاجابة أن الرأى السائد هو صعوبة تعلم اى نوع من الرياضة بعد سن الاربعين

حنا رزق

بانتالمون رومانوف

ليلة من الربيع

— ١ —

يخال لى أننى لم أرج الربيع بمثل هذا الصحو والاعتدال من قبل
ولكننى ياعزيزتى فيروشا أشعر بحزن عميق
أشعر باننى حزينة أو مريضة أو كانما أتيت امراً ادا

وهاانذا أرى زجاجة مكسورة الرقبة فى نافذة غرفتى ... بهـا فرع ذابل من زهر الكريز أحضرته معى ليلة أمس . . . لست أدري لم أشعر برغبة ملحة فى البكاء كلما وقع بصرى على تلك الزجاجة

سأعتصم بالشجاعة وأخبرك بكل شىء . منذ عهد قريب تعرفت الى صديق طالب بجامعة أخرى يقول أننى خالية من العاطفة خلوا تاما ... بعيدة عن الأسف على وراء فى الضائعة ... بعيدة عن الشعور بوخز الضمير « لسقطتى » الاولى ... ولكننى مع ذلك أملك شيئا غامضا مبهما لايستطيع أن يصفه أو يحدده

وسوف أخبرك فيما بعد — بصراحة لايشوبها الخجل — كيف حدث كل هذا ... ولكننى أحب أولا أن أتوجه اليك ببعض أسئلة وأرجو أن أسمع أجابتك عنها

عندما عرفت بول واتصلت به لاول مرة ... ألم تشعري بان اليوم الذى نعمت فيه بحبك الاول هو يوم عيد لديك ؟ . أو أنه على الاقل يخالف بقية الايام بالنسبة لك ؟

هلا كنت تعدين مثلا ان الخروج فى مثل هذا اليوم الزاهر من حياتك بحذاء قذر أو رداء ممزق عملا حاطا بك أو مذلا لك؟

اننى أتوجه اليك بهذا السؤال لانى أرى أن كل معارفى ... كل من هم فى سنى ... يرون فى هذا الامر رأيا غير الذى أرى . ولكننى لا أجد فى نفسى من الشجاعة والجرأة ما يحفزنى على العمل بحسب ما أشعر واعتقد

فان المرء ليحتاج الى جهد جبار اذا اعتزم ان يخالف البيئة التى يحيا فيها
ان بيئتنا تنظر الى الجمال بانفة الشباب ... وكذلك تنظر أيضا الى أناقة الملبس ونظام المنزل

ان المكان الذى نعيش فيه يفيض بالقذارة والاضطراب ... ان أعقاب السجائر وقصاصات الورق تتناثر فى كل أرجائه ... وليس فينا من يحاول أن ينال مسكنه بشىء من العناية والترتيب وخصوصا بعد أن ذاعت تلك الاشاعة باننا سننتقل الى مكان جديد ... فان الطلاب منذ ذلك الحين يقومون بتخريب كل مايقع تحت متناول أيديهم عمدا ومع سبق الاصرار

وكأنما نحن نخجل من التظاهر بالاهتمام بامر تافه قليل الشأن كالعناية بنظافة الغرف التى نعيش فيها والانتفاع منها بالشمس والهواء ... فانظري الى أي درك انحدرنا .. اننا لانهمل ذلك لانصرافنا عنه الى أمر آخر ذى بال أو لانقطاع الفراغ من وقتنا... ولكننا نفعله لاننا نشعر — راغمين — بازدراء كل ماله علاقة بالجمال

ولعل هذا الامر يبدو عجيبا اذا ذكرنا ان حكومتنا تنفق قدرا كبيرا من المال والجهد فى تجميل الحياة لنا ... فى انشاء الحدائق وغرس الزهور مما لم يكن لنا به عهد من قبل .. فى الايام الماضية أيام حكم السادة والنبلاء الذين كانوا يزهون على الدوام بحب الحياة الجميلة الانيقة . ان جامعتنا التى ظلت زهاء المائة عام كدار خربة تبدو الان أجمل بناء فى موسكو .. ونحن . نحن نشعر بزهو خفى من ذلك . ولكن حياتنا الداخلية مع ذلك لاتزال تسودها الفوضى ويعمها الدنس

ان فى خلق الفتيان والفتيات ظاهرة عجيبة ... كأنما يخشون ان يتهموا بالرقة والظرف فيسلكون عامدين طريقا فظة خشنة داعرة فى الحديث . وحين يتناولون المسائل الجنسية يختارون أفجر الالفاظ واكثرها فحشا .. مما قد يشمئز منه السوقة وأبناء الطريق

انهم ينادون بعضهم بعضا باقبح الالقاب .. فاذا شعرت بعض الفتيات ـ ولست أقول كلهن ـ بالاهانة وحاولن الاعتراض او الاحتجاج لعجبت كيف يقابلن

ان الهجاء القاسى واللفظ الداعر واحتقار الاناقة فى أى لون من الوانها هى الحالة الغالبة عندنا الان . وقد يكون هذا راجعا الى فقر الغالبية منا وحرمانها من التمتع بالملابس الجميلة ومحاولتها السخرية من ذلك او التظاهر بالسخرية على الاقل .. او قد يكون هذا لاننا نرى ـ ونحن جند الثورة ووقودها ـ ان واجبنا الطبيعى يقتضينا أن ننكر العاطفة ونزدرى الجمال . ولكن اذا كنا جنود الثورة حقا فمن الواجب أن نحذو حذو الحكومة التى اقمناها .. فنعمل على تجميل حياتنا بقدر مانستطيع لا من اجل الجمال ذاته .. ولكن سعيا وراء النظافة والصحة . من أجل هذا يخيل لى ان قد آن الاوان لانكار هذه المنازل الشبيهة بالثكنات التى نحيا فيها

ولكن الغالبية كما تعلمين تحب هذه المنازل . الغالبية من فتياننا وفتياتنا على السواء لانها تمنحهم كثيرا من الحرية ولا تقتضيهم الا قليلا من ضبط النفس

غير أن اهمال الجمال والصحة على هذا النحو الشائن يؤدي الى نتائج مروعة فى أوثق علاقاتنا وأخصها . وهو يولد نوعا من الخشونة والضعف فى معاملة الجنس اللطيف ويمنع الشاب من الاحتفاظ بما ينبغى من الرقة والمجاملة ازاء صديقاته من الفتيات

وكل هذا ناتج من خوف مخالفة القانون الادبى المتعارف عليه

ولكن الامر يختلف عندك فى الاكاديمية ... هل تصدقين أننى أحيانا أشعر بأسف شديد لاننى التحقت بالجامعة . ان امى ـ وهى مولدة تعمل فى احدى القرى ـ تنظر الى بنوع من التقديس والاحترام كانما أنا شيء رفيع . ولكننى كثيرا ما أسائل نفسى . ترى باى عين كانت تنظر الى لو أنها شاهدت هذا الدنس الذى نتمرغ فيه او سمعت هذه اللغة التى لانكاد نتحدث بغيرها

ان الحب شيء لاوجود له فى حياتنا ... ونحن نمارس العلاقات الجنسية فى بعض الاحيان ... لا سبيل الى انكار هذا الاله . ولكننا ننظر الى الحب كامر بعيد عنا أو متصل بناحيتنا «النفسية» ولا ندرك من حقوق حياتنا الا اشباع الناحية الجسدية او الفسيولوجية فقط

ان الفتيات يعشن اليوم مع أصدقائهن من الفتيان .. وأصبحن لايرين حرجا من قضاء أسبوع أو شهر معهم .. بل انهن أصبحن لا يرين حرجا من قضاء ليلة واحدة فقط . وكل من يحاول أن يلتمس الحب فى غير هذه العلاقات الجسدية لايكون نصيبه غير السخرية والازدراء والاتهام بالشذوذ او الجنون

ـ ٢ ـ

ماذا يحسب فى نفسه ؟.. طالب عادى مهلهل الهيئة رث الثياب .. انه يخدع نفسه لو رآها شيئا غير هذا

ان عينيه جذابتان ... وحين يسير بمفرده فى ردهات ثكناتنا الجامعية يخال المرء أنه يري فيهما لونا من الجد والهدوء غير مألوف

ولكن ما ان يصطدم باحد زملائه من الطلبة حتى تتجلى طبيعته مكشوفة غير خافية .. تتجلى طبيعته الخشنة الصاخبة المبتذلة .. لقد كانت الفتيات يتطلعن اليه بكثير من الاعجاب لجمال هيئته وكان الرجال يركنون اليه لمهارته وكان هو على الدوام يسعى للاحتفاظ بروح الزعامة التى يحظى بها

وقد رأيت فيه رجلين . أحدهما على حظ كبير من قوة التفكير واتزان العقل والثانى ماجن مبتذل يثير محدثه بالطريقة التى يتكلفها للظهور أمامه بمظهر فظ خشن يفوق حقيقته كثيرا

وامس عند الغروب خرجنا معا لأول مرة .. كان الهدوء يشمل المدينة .. وكانت ضوضاء النهار قد سكنت وكان الهواء منعشا بما يتخلله من رطوبة الارض

وقال لى بعد فترة قصيرة « لم لا تأتين الى منزلى ؟ . انه لايبعد عن هذا المكان كثيرا »

قلت « كلا . لن أذهب معك »

قال « ولم ؟ .. هل هذا من اللياقة فى شىء ؟ »

قلت « كلا .. انه ليس من اللياقة .. ولكنه ليس من الحكمة أيضا أن نقضى هذه الفترة من النهار بين جدران أربعة »

فهز منكبيه ولم يجب

وسرنا معا على افريز الطريق حتى بلغنا جسرا .. وأتت صوبنا فتاة تبيع زهر الكريز فابتعت قدرا منه . واضطررنا الى الانتظار فترة غير قصيرة حتى تعيد الفتاة الى بقية ما أعطيتها من ثمنه .. وانتحى هو فى أثناء ذلك جانبا من الطريق وأخذ ينظر عابسا

ولما فرغت من مهمتها التفت الى وقال « الا تستطيعين السير بغير زهر الكريز ؟ »

قلت « أستطيع طبعا .. ولكننى أفضل السير به على السير بدونه »

قال وقد زاد من تقطيب وجهه وكشر عن اسنانه « اننى أستطيع دائما السير بدونه واجد شيئا من الراحة فى ذلك »

فى تلك اللحظة وقع بصرى على فتاتين قادمتين نحونا كان يحدق بهما جمع من الطلبة . . . ولكنهما تخلصتا منهم .. فانفجر الطلبة ضاحكين وأخذوا يطاردونهما ويوجهون اليهما أخفش اللفظ وأخشنه

قال زميلى « انهم يثيرون الفتاتين .. لايوجد معهم زهر الكريز ... ولذلك فربحتا »

فقلت له متسائلة « لم تكره زهر الكريز الى هذا القدر ؟ »

قال « كلا .. فالأمر سيان لدى .. لم تقطعين علىّ الحديث ؟ »

قلت « انك تتحدث بهذه اللهجة لأنك لم تعرف بعد ماهو الحب »

قال « وهل تلزمنى معرفته »

قلت « اذن فماذا تطلب من المرأة ؟ »

قال « أطلب منها كثيرا ... اكثر مما تظنين »

ومررنا ببعض الأشجار الليلك ... فوقفت لحظة حتى أثبت زهرة الكريز الى ثوبى . وعلى حين غرة رأيته يهجم الى ناحيتى ويدفع الى الوراء رأسى محاولا أن يقبلنى فتراجعت الى الخلف وانا أدفعه

فقال « الا تريدين .. حسنا فليكن لك ماتشائين »

قلت « طبعا لا أريد ... أنك لم تعرف الحب بعد .. وليس يهمك أى امرأة تقبل ! ولو كانت

معك الآن امرأة أخري غيرى لحاولت أن تقبلها كما حاولت معى »

قال « هذا حق .. ان المرأة أيضا تقبل من تشاء ولا تقصر نفسها على واحد فحسب . لقد كنت فى حقل قريبا ... وقد قبلتنى خطيبة أحد أصدقائى بنفس الحماسة التى كانت تقبل بها خطيبها .. ولو كان هناك شخص ثالث لما كانت أقل شغفا الى تقبيله عن ذلك .. ومع ذلك فان هذين الخطيبين سيتزوجان عن حب »

شعرت بالالم يسرى الى قرارة نفسى وانا اسمعه يتحدث بهذه الروح . لقد كنت أخاله يميل الى بعض الشيء وكنت أحسبه يسترق النظر الى وانا بين جموع الطلبة ! . فما باله يفسد هذه الامسية الجميلة من ليالى الربيع بارائه الفاجرة الخليعة وحديثه الخشن المبتذل .. ! ان النفس لترنو الآن الى الحديث الهادىء الحنون

لشد ما كنت أبغضه فى تلك اللحظة ! . كنا نسير حذاء مقعد جلست عليه احدي السيدات.. وكانت ترتدى جوربا من الحرير وتضع ساقا على ساق وتتطلع الي كل من يمر بجوارها

حدق زميلى النظر فيها .. وما أن ابتعد عنها بضع خطوات حتى التفت اليها وأخذ يحدق فيها ثانية ... عندئذ شعرت كأنما لدغتنى عقرب

قال وهو يشير الى المقعد المجاور « لنجلس هنا قليلا »

لست أدرى ماذا دهانى فى تلك اللحظة . ولكننى شعرت برغبة ملحة فى البكاء . وخشيت ان تغلبنى العاطفة فاخبرته باننى لا أريد البقاء معه بعد ذلك واستأذنته فى الانصراف

وذعر هو لهذه المفاجأة وعجب منها

وقال « لم تريدين الذهاب ؟ ماذا جرى ؟ . الست تريدين أن أكون صادقا ؟ . هلا تحبين الصراحة ؟ وهل تريدين أن انطق بغير الحق ؟ . اذا عقدت العزم على الذهاب فسأذهب أنا أيضا . الى اللقاء »

وأمسك يدى بين يديه برهة ثم قال « ولكنها حماقة .. نعم حماقه » ثم القى بيدى وتابع سيره منفرداً

فوجئت أنا بهذا العمل . فلم يكن يدور بخلدى قط انه سيتركنى على هذا النحو

وقفت فى ركن من الطريق وانا اتلفت حولى . كانت أمسية من تلك الامسيات التى يشعر المرء فيها انها ليلة العمر ... اذا وات فلن تعود . كان القمر ساطعا فى زرقة السماء وكانت تحيط به هالة صفراء رفيعة ... وتداعبه بين الحين والحين قطع رقيقة من السحاب ... وكانت أضواء الطريق الباهتة الضعيفة تكاد تختفى فى ضوء القمر

كان الميدان غاصا بجموع من الشبان والفتيات يضحكون ويصخبون ... أما العاشقون فقد امتلأت بهم مقاعد الحديقه المتناثرة تحت الاشجار الباسقة المتعانقة

كنت أسمع صدى الأحاديث ورنين الضحكات وكنت أرى أطراف السجائر الموقدة ... كان يخيل لى أن الجميع فى نشوة .. أخذتهم روعة الليلة ... فلم يدعوا لحظة تمر منها دون الاستمتاع بها الي أقصى مايملكون

أما البائس المسكين الذين لاتجد هذه الليلة فى نفسه وترا يهتز لروعتها وجلالها ... اما التاعس الذى يجول وحيدا منفردا دون زميل أو أنيس ... فما اشقاه بالحياة وما أجدره بالرثاء

منذ لحظة قصيرة كان وجوده معى او انصرافه عنى سواء لدي ... اما الآن بعد أن لبث يحدق النظر الى تلك المرأة الجالسة على المقعد فقد عصف بذهنى هم قاتل وأخذت أشعر بقلق مروع وأحسست للمرة الاولى بالضعف يسرى الى نفسى حتى لقد وددت لو كان معى

أرجو الا تقسى فى الحكم على ... ولكننى لم أكن أطيق أن أبقى طريدة الحياة فى هذه الليلة المليئة بالحياة

دون وعى منى ودون تفكير فى العاقبه أو تقدير لها أسرعت الخطى فى طريقى الى منزله

— ٣ —

لم تكن تشغل ذهنى فى تلك اللحظة الا فكرة واحدة : ان أصل متأخرة فلا أجده فى المنزل عندئذ أخذت أهيل على نفسى اللوم والتأنيب لتسرعى فى الانفصال عنه بتلك الحماقة دون أن أبذل أى جهد من ناحيتى لاستمالته وارضائه

ذكرت أننى بهذا التصرف أشبه أولئك الذين اذا راوا أمرا لا يروقهم هزوا له مناكبهم دون أن يكلفوا أنفسهم شيئا من الجهد فى تعديله واصلاحه ... فهل كنت أتوقع الحصول عليه كما اشتهى دون أن ابذل من ناحيتى اى جهد فى سبيله ؟

واجتزت عتبه المنزل وشعرت وانا اجتازها بتيار بارد من الهواء يلفح وجهى ويختلف عن ذلك الجو الدافىء الذى كان يسود الليلة ويطبعها بذلك الطابع السحرى الجميل

لم يكن يتوقع أن يرانى ثانية ... وبدا لى انه كان يتأهب للعمل . وكان بالغرفة مائدة صغيرة مستندة الى أحد جدرانها ومصباح كهربائى متحرك تدلى من السقف فوقها ومثبت فى مكانه بواسطة مسمار صغير

والتفت الى ثم قال « واذن فقد عادت البطله ... لعلها راجعت نفسها ثانيه ... حسنا »

ثم تقدم نحوى وهو عابس الوجه مقطب الجبين وامسكنى من ذراعى فخلت انه يريد أن يقبلنى

أو يلطمني ولكنه لم يفعل

وقلت له « انا آسفة غاية الأسف على هذا الشجار الذى نشب بيننا .. واود أن أصلح مالعله يكون قد فسد من الامر »

فأجاب « ماهذا الذى فسد وتريدين ان تصلحيه ؟ . انتظرى لحظة واحدة حتى اضع اشارة بالباب تنبيء بأني غير موجود والا فقد يتطفل علينا أي طارق »

وذهب الى المائدة فكتب الورقة ثم خرج ليضعها على الباب .. ورأيتني وحيدة بالغرفة فأخذت أجول ببصرى فى أنحائها

كانت جدرانها ملوثة بعدد لايحصى من ارقام التليفون .. وكانت أرضها قذرة بما تجمع عليها من أعقاب السجائر وقصاصات الورق . وكان يقبع فى أحد أركانهـا سرير صغير مشوش الترتيب وكانت تتناثر هنا وهناك أطباق قذرة وزجاجات فارغة وقطع من ورق الزبدة وقشر البيض وعلب المأكولات المحفوظة وغير ذلك

شعرت على التو بشيء من المضايقه وحرت فيما سأقوله له حين يعود . فليس من الحكمة أن أبقى صامتة فيعزو سكوتى لسبب آخر غير هذا

ثم خطر لى أن اسائل نفسى . لم ذهب الى الباب ليضع عليه تلك الورقة ؟ فماذا يهم اذا وفد علينا طارق ؟

وادركت على الفور معنى هـذه الخطوة فشعرت بالدوار يلف رأسى واشتـد خفقان قلبى . اتجهت الى النافذة ويداى ترتجفان وأخليت جانبا منهـا من الزجاجات الفارغة والأطبـاق القذرة واستندت اليها وانا اولى الباب ظهري

لم أشعر قط بمثل هذا التوتر فى لحظه انتظار . كان أشد مايؤسفنى ان اقضى اول ايام حبي وافضل ساعات حياتى بين مخلفات طعام الأمس فى مثل هذه الغرفة القذرة المضطربة النظام

فلما عاد الى رأيتنى اقترح عليه الخروج فى الهواء الطلق . فارتسمت على وجهه علامة تعجب وانكار واجابنى « ولم ؟ انك آتية من الخارج توا »

ثم تغير صوته وهو يقول « لقد رتبت كل شيء فلا تخشى ان يزعج خلوتنا أحد دعى عنك هذا الهراء .. فلن ادعك تخرجين الآن »

فأجبته قائلة « ولكننى لا أريد أن أبقى هنا »

فقال غاضباً « هل سنبدأ العراك من جديد ؟ . . ماذا دهاك ؟ وإلى أين تريدين الخروج ؟ »

كانت الكلمات ترد على لسانه مسرعة وكانت يداه ترتجفان . . . وكان قلبي يخفق بقوة وعنف

حتى لقد حجبت غمامة سوداء الدنيا عن ناظري . كان يثور بعقلي إذ ذاك عراك هائل . . عراك بين الرغبة فى الاستسلام مع شعورى بالطمأنينة من أى طارق يعكر علينا خلوتنا وبين الرغبة فى التمرد والعصيان . . رغبة جامحة يثيرها صوته الهامس السريع وتعجله الجشع وثورته الطائشة التى أفقدته الهدوء وضبط النفس . كان يخال لى أنه لا يفكر إلا فى أمر واحد . . أن يفرغ من هذا العمل قبل أن يقتحم خلوته أحد أصدقائه . . فكان بادى الملل سريع الحنق طائش الغضب لأقل مقاومة تبدو من جانبي

أننا معشر النساء — حتى فى الحب الحر — لا نستطيع أن ننظر نظرة سليمة الى الحقائق كما هى . والحقيقة عندنا تكمن على الدوام فى نهاية الفصل . . أما فى أوله فاننا لا نرى أمامنا غير الرجل ذاته . عقله ومواهبه وروحه ورقته . ونحن فى بادىء الأمر نتجه إلى هدف آخر غير الاتصال الجسدى . . فاذا لم تتحقق للمرأة هذه الرغبة وسقطت ضحية لثورة حواسها الطارئة فانها سرعان ما تشعر باشمئزاز شديد من نفسها بدلا من أن تشعر بالرضى والسعادة . . وسرعان ما تشعر أيضاً بكراهة عميقة نحو الرجل . . شريكها فى عثرتها ومحرضها على الوقوف فى هذا الموقف الكريه القاسى

وفى لحظة تجمعت فى مخيلتى عوامل متعددة . الفراش المشوش والقذارة البادية والنظرات المختلسة التى كانما تطالبنى بحق أن أنكره عليها . تجمعت فى مخيلتى كل هذه العوامل فرأيتني أصيح به وأنا أكاد أبكى « دعنى أذهب . . أنا لا أستطيع البقاء هنا »

فقال فى لهجة حزينة « ماذا جرى ؟ . . ألا يعجبك الأثاث ؟ إنى أقر أن المكان يخلو من الشاعرية . . ولكنى لست موسراً . . »

لست أدري ماذا دهانى عندئذ . . ولكن ملامح وجهه أخذت تلين رويدا . . وكأنما أدرك هو ذلك فأراد أن يزيد من هدوئى وهو يقول « كل شيء على ما يرام . . تعالى يا عزيزتى . . فقد يأتى أحد الآن »

أننى أعترف بانه كان ينبغى لى ان اذهب فى تلك اللحظة . . ولكننى كنت وحيدة معه فشعرت بالرغبة تثور فى نفسى كما تثور فيه أيضا . . يا للعجب ! . . هل كنت أخدع نفسى عند ما اخترت البقاء بأمل ان يقطع علينا هذه الخلوة طارق جديد ؟

وقال وهو يطفىء النور « أنظري . . سيصبح المكان أكثر شاعرية الآن »

وكان الخير ما فعل . . فقد اختفى عن ناظرى على الأقل ذلك الفراش القذر المنزوى فى ركن الغرفة وتلك الزجاجات الفارغة والاعقاب المتناثرة هنا وهناك

كنت واقفة الى النافذة أوليه ظهرى فرأيته يأتى نحوى ويضع ذراعه حول عنقى . . ولبثت

كما كنت دون حراك . لم استطع بطبيعة الحال ان ارى ملامح وجهه فى الظلام . . ولكننى كنت شاكرة له هذا العناق حتى لكم وددت ان يمتد الى غير نهاية

واخيراً فقد صبره وغلبه الملل خشية ان يحضر أحد من زملائه . . فقال وهو يبتعد عن النافذة « تعالى ياعزيزتى . . لقد طالت بنا الوقفة . . اما لها من آخر ؟ »

* * *

وعند ما نهضنا بدأ باضاءة النور فصحت به فى ألم وارتياع « كلا .. أرجوك .. لا أريد الضوء »

ونظر هو إلى فى دهشة وعجب ثم هز كتفيه وأطفأ النور ثانية واقبل على الفراش ينظمه وهو يقول « يجب ان أعيد النظام الى الفراش وإلا ظنت فانيا انى أحضرت سيدة الى غرفتى فى اثناء غيابها »

ثم أخذ يجول حول الفراش وركع على ركبتيه كأنما يبحث عن شىء فقد منه . وبعد برهة قصيرة جاءنى وهو يقول « خذى . . هذه مشابك الشعر . . لقد زحفت وزحفت حتى عثرت عليها . . لا أدري لم تصممين على البقاء فى الظلام ؟ . . يحسن بك ان تخرجى الآن وإلا فقد يأتى أحد . . وعليك ان تخرجى من الباب الخلفى لان الباب الأمامى مغلق الآن »

لم يتبادل أحدنا كلمة مع الآخر . . بل لقد حسبت أننا نتحاشى ان تلتقى نظراتنا

وعند ما خرجت الى الطريق كنت أسير فيه كآلة لا تعى ولا تفكر . وفجأة شعرت بشىء فى يدي جعلنى أقف وارتجف . ولكننى تذكرت على التو أنها مشابك الشعر التى أعطاها لى . . فوقفت أحدق البصر فيها . . نعم كانت مشابك الشعر لا أكثر ولا أقل

وواصلت السير الى المنزل وأنا ممسكة بها . . كانت زهرة الكريز لا تزال فى صدرى ولكن لحقها الذبول فتعلقت عليه كخرقة بالية . .

وكان الليل لا يزال مخيما على المدينة . . والقمر لا يزال مرتفعاً فوق المنازل والدور والسحب الصغيرة تظهر كأنها دخان يتجمع . . والأفق يبدو من بعيد غامضاً قليل الوضوح

ترجمة الدكتور صبرى جرجس

تطور الفكر والفلسفة

عند المصريين فى عصر الفراعنة

لم يصف برستد نفسه بأنه « بشرى » ولكن الذى يقرأ مؤلفاته عن مصر يشعر بأن هذا الوصف ينطبق عليه . فانه من أولئك القائلين بأن الاخلاق أو التمييز بين الخير والشر لم يحدث بتوفيق والهام . وانما حدث — مثل اللغة — بجهود بشرية . وكتابه « فجر الضمير » هو عرض واف لهذه الجهود لأولئك المصريين الأولين الذين ابتكروا للعالم حضارته وعلموا الانسان القراءة وفتحوا له بذلك أبواب الثقافة الادبية والدينية والاجتماعية والاخلاقية . ونحن أبناء الفراعنة لم نستبد بهذا التراث كما يشهد بذلك الف دليل . فان حروف الهجاء فى انجلترا والمومياءات المحنطة فى أمريكا الجنوبية وتقديس البقرة فى الهند وشعائر الاديان المختلفة من التطهر بالماء أو الفردوس إلى الثالوث بل حتى عبارة « ابن الانسان » قد عرفها آباؤنا قبل أربعة آلاف سنة ونشروها فى أنحاء العالم مع فن الزراعة الذى أخرجوا به الانسان من حياة الغابة والبداوة الى حياة الحضارة والاجتماع

وبرستد واحد من هؤلاء الرجال الذين يرصدون حياتهم لخدمة العلم على نحو مايرصد الرهبان حياتهم لخدمة الدين . فان فى الدنيا هذه الايام عبادة جديدة تقتضى من صاحبها نسكا وانكاراً للنفس وارصاد الفكر والصحة والمال للبحث عن ماهية الانسان وأصوله فى التاريخ القديم وعن مستقبله . وهؤلاء الناسكون الصوفيون يمارسون صوفيتهم فى المعمل الكيماوى أو السيكولوجى كما يفعل الكسيس كاريل أو بافلوف أو فى المعمل الاثرى كما كان يفعل برستد

ولا يحسبن أحد أن هذا الكلام يعنى المادية أو أنه يدعو الى نبذ الدين . فان من لا دين له لا شرف له على حد ما يقول هذا الصوفى العظيم برنارد شو . وأما عن المادية فان تاريخ الانسان يصيح باستنكارها . وقد اخرج لنا برستد من « شق الرحا » الذى وجده فى احدى مدن الصعيد ما يكشف عن بذرة الاخلاق والاتجاه الذى اتجه الانسان الاول لكى يضع أسس الاجتماع

فهذا الشق يعود الى عصر بناء الاهرام أى نحو ٣٣٠٠ سنة قبل الميلاد . وهو أول لوح مكتوب

فى العالم لم يعثر على أقدم منه . وهو يذكر أصل الاشياء ويبين لنا أصل الاخلاق . وهو يذكر القلب بمعنى العقل والفهم . كما لا تزال عليه بعض اللغات . وهو يقول بالنص « كل شيء نشأ و تكون لان القلب (العقل) أراده واللسان نطق به » أي كانت الفكرة ثم كانت الكلمة . وهذه العبارة تدل على أن المصرى القديم شعر أن العقل فوق المادة

وشعوره هذا عجيب جدا . وهو يدلنا على أن طبيعتنا ليست مادية وان الانسان نفس قبل أن يكون جسما . وهذا الكاتب لشق الرحا لا يعرف من الخير والشر أوالفضيلة غير هذه الكلمات:

الرجل الذى يعمل مايحبه الناس له الحياة

الرجل الذى يعمل ما يكرهه الناس له الموت

وهذه هي الاخلاق الاولى كما عرفها الانسان قبل ٥٣٠٠ سنة . وهى تدل على شيئين :

الاول : أن مهمة الاخلاق الاولى هي خدمة الاجتماع بأن يعمل الفرد ما تحبه الجماعة

والثانى أن المعنويات فوق الماديات لان القلب (العقل) فوق كل شيء

وهذه البذرة الساذجة للاخلاق والفلسفة مازالت تتطور حتى وصلت بعد ألفي سنة (١٣٠٠ق.م) الى فلسفة التوحيد والاخاء البشرى عند اخناتون . وقد أصابت فى عصر الدولة القديمة ثم عصر الاقطاع من نوبات الارتفاع والانحطاط شيئا كثيرا ولكن سلسلة هذا التطور تبدي لنا ناحيتين

احداهما ناحية الشعب الذى يقوم أبناؤه من الملوك والصعاليك والكتاب والصناع بابتكار الاخلاق الجديدة للعصور الجديدة والارتفاع بالانسان الى مدارج سامية من الرق والدقة فى معاني الفضيلة والرذيلة . وفى الناحية الاخرى نجد الكهنة الذين يحيلون الاخلاق الى شعائر جامدة لا تقبل التنقيح لانها مقدسة . فالابتكار يأتى من الشعب والجمود من رجال الدين

* * *

ولكن شق الرحا ليس أول ما كتب عن الاخلاق . وانما هو أول ما وجد فى عصرنا من النقوش القديمة لا يعرف أقدم منه . ولكن عصر الاهرام حافل بالنقوش العديدة التى تعطينا صورة من الاخلاق الاولى كما فهمها الانسان لاول اصطدامه بحقائق الدنيا وبالمسائل الاجتماعية

١ — فمن ذلك ان المصرى الاول لم يستطع أن يروض نفسه على السكون الى الموت . فهو لا يذكره باسمه إلا حين يدعو على عدو . اما حين يذكر حبيبا فانه يؤكد انه لم يمت وانه سيعيش

وسيميش . وهذا يقال مع المومياء المحنطة . وهذا الخوف من الموت هو الذي ألهم بناء الاهرام وألهم التحنيط وألهم الفردوس المصرى القديم . فان الميت لم يمت . بل هو يعيش فى الفردوس . هذا الفردوس الذى نرى أوصافه فى كثير من الفراديس التالية

ولا يمكن أن يقال اننا نحن نسكن إلى الموت ونسلم به . فان الرغبة الحادة التى تجمعنا أحيانا لعقد المجالس « لمناجاة الأرواح » تدل على أننا مازلنا عاجزين عن التسليم بالموت . وان اختلافنا من المصرى القديم الذى كان يرفض أن يلفظ بلفظة الموت وكان يبنى الاهرام قصد الخلود انما هو اختلاف فى الدرجة فقط

٢ — وفى عصر الأهرام هذا نجد هذه العبارة فى التزكية « محبوب من الاب ممدوح من الام يحبه اخوته » وهذا يدلنا على أن الاسرة كانت أساس الحب الاجتماعى . وهى لا تزال كذلك . واشتقاق الرحمة من الرحم فى اللغة العربية يدل على أن هذه الفضيلة نشأت أولا لخدمة ذوى الارحام أى الاقارب . وكذلك كان الشأن عند المصريين القدماء . بل السيكلوجية الحديثة تدل على أن حب الطفل لأسرته هو النواة لحبه للهيئة الاجتماعية . واتفاق السيكلوجية والمصرلوجية برهان على عظم المكانة التى تحتلها الاسرة من الاجتماع

٣ — نجد فى عصر الاهرام حكم بتاح حوتب تدعو الى النجاح الشخصى ولكن مع الاستقامة . كما نجد ان الناس يحتاجون إلى التزكية بأعمالهم لكى ينالوا السعادة الابدية . بل الآلهة المصرية نفسها كانت تحتاج الي التزكية . وهناك ما يسمي « نصوص الاهرام » وهي النقوش التى وجدت فى قبر بيبى من ملوك الاسرة الخامسة والسادسة . وفى هذه النصوص نجد هذه الكلمات

« لم يفعل الملك بيبى شرا . وانها لكلمة كبيرة فى عينك يارع »

فنفهم من هذه الكلمة أن الملك كان فى حاجة لان يزكى نفسه أمام ربه ويثبت انه كان صالحا لا يظلم الناس

ويمكن أن نستخلص من عصر الاهرام أربعة مبادىء فى الاخلاق الاولى التى عمت مصر قبل ٥٢٠٠ سنة تقريبا :

١ — المبدأ الاول هو الخوف من الموت وأثر ذلك فى ايجاد الكهانة ومحاولة الخلود بالتحنيط والاهرام . وقد كان لهذا الخوف أثره الحسن فى انبعاث المصريين الى السياحة لجلب مواد التحنيط والدفن فانتشرت بذلك الحضارة الاولى كما عرفت مبادىء الصناعات والعلوم . ولكن كان له أثر

سيء هو سلطان الكهنة وارصاد الجهود الكبيرة لبناء الاهرام وتوجيه العقول إلى عالم آخر

٢ — المبدأ الثاني أننا نعرف من قصة شق الرحا ان الفضيلة كما فهمها المصرى الاول هي ما أحبه الناس. والعكس بالعكس

٣ — والمبدأ الثالث أن الاسرة هي أساس الاخلاق للاجتماع

٤ — والمبدأ الرابع هو أن كل انسان مسئول وانه محتاج لهذا السبب الى التزكية ولو كان ملكا

كل هذا نراه واضحا فيما بين سنة ٣٣٠٠ ق . م . الى سنة ٢٥٠٠ ق . م .

* * *

ولكننا بعد ذلك نبدأ بالشعور بأن الشك اخذ يتسرب الى العقائد . ومنذ حوالى سنة ٢٥٠٠ نجد المصريين ينظرون بعين الشك إلى قيمة الاهرام فى تخليد الميت . ولا بد ان كثيرا من هذه الاهرام التى كانت تعد بالعشرات قد بلى وتفتت كما تهدمت المعابد التى أقيمت بجوارها فتقلقلت العقائد الدينية وأصبح الناس يتساءلون — كما نتساءل — من هو الرجل الفاضل ؟ هل هو المصلى المتعبد أم هو الرجل العادل الذى لا يظلم الناس ؟ ونجد أحد الفراعنة ينصح لابنه مريك رع (٢٥٠٠ ق . م .) فيقول له « ان فضيلة الرجل المستقيم تجد من القبول أكثر مما يجده ثور الضحية الذى يقدمه الرجل السيء » وبكلمة أخرى الدين المعاملة . ولكن الشك فى ثور الضحية هو شك فى الدين

وفى هذا الوقت أيضا نجد ان الله يوصف بأنه خفى يعرف كل شيء . وفى هذا الوصف مايعنى أن له رقابة على العالم . وهذا هو البذرة الاولى للتوحيد والمصرى القديم الذى يؤمن هذا الايمان يعد بلا شك زنديقا من ناحية ايمانه بالآلهة الاخرى

وحوالى سنة ٢١٠٠ ق . م نجد الشك يزداد . فان الثقة العمياء التى دفعت الملك خوفو الى أن يعبيء قوات الدولة لبناء الهرم الكبير لكى يعيش فى العالم الآخر الى الابد قد زالت وجاء مكانها روح جديد يشبه روح عمر الخيام . فاننا نسمع شاعرا مصريا ينشد « ليس أحد يأخذ معه أمواله وليس أحد من الموتى يعود » وهذا القائل كان يعرف الاهرام وكان بعضها قد مضى عليه ١٢٠٠ سنة . فكان ينظر اليها ويقول : ما الفائدة . لقد ماتوا وكل هذا عبث

ويقول هذا الشاعر فى قبر الملك انتيف من الاسرة الحادية عشرة (٢١٠٠ ق . م)

لايعود أحد من هناك (من الاخرة)

لكى ينبئنا عما جرى لهم وعن الحظ الذى لاقوه

حتى ترضى نفوسنا الى أن نرحل نحن أيضا الى المكان الذى

ذهبوا اليه

ثم يحض على الاستمتاع بالدنيا لان الآخرة لا تعرف فيقول :

أشعر قلبك الشجاعة وأنس الموت

وأمتلىء سروراً وأتبع رغائبك ما دمت حيا

ضع المر على رأسك (تطيب) والبس الاقمشة من الكتان

الحسن المهيأ بألوان الترف

. . . .

وزد مسراتك ولا تجعل قلبك يذبل . واتبع رغائبك وما تحب

ولتنتظم أعمالك على الارض كما يشتهى قلبك . حتى يأتى اليك

يوم الرثاء حين لا يسمع القلب السا كت هذا الرثاء

* * *

هذا التفكير الجرىء الفاجر نجد منه كثيرا بعد سقوط الدولة القديمة . فان الاستقرار الذي بنيت فيه الاهرام والذى بقى نحو الف سنة قد تقلقل . وجاء عصر الفوضى والاختلاط وحكم الامراء المستقلين وتزعزع السلطان سواء اكان فى الدين أم فى الحكومة . وهذا العصر الذى يخسر فيه النظام يكسب فيه الذهن . لان الانسان فى مثل هذه الظروف يتساءل : ما السبب لهذا الفساد ؟ ولماذا كان أسلافنا صالحين ؟ ولماذا نحن غير صالحين ؟ وماذا ينقصنا ؟ وما هو مستقبلنا ؟

وهذا التفكير يكثر فى الازمات . ولا بد أن أسلافنا قاسوا فى هذا العصر ألوانا من القحط والحرمان للفوضى السائدة . وعندئذ نجد انهم يفكرون فى المنقذ الذى سوف يأتى فيعمم بين الناس الرخاء والعدل ويخفض الظالم ويرفع المظلوم . وقد أدى بهم هذا التفكير الى فكرة أصبحت تقليدية فى جميع الاديان تقريبا هى أن « المنقذ » فى شخص ملك أو نبى سيأتي وينقذ الناس من جميع الشرور التى حاقت بهم . وهذا المنقذ قد وصفوه بهذا الوصف العجيب « ابن الانسان »

ولا يمكن أن يفسر هذا الحلم الذي حلمه آباؤنا قبل ٤٠٠٠ سنة الا انه ثمرة الحرمان والقحط وتفشى الفوضى والعجز عن علاجها

* * *

كلنا يعرف أن التفكير الديني انتهى ايام اخناتون الى التوحيد الصريح وهدم الاصنام واستنكار تعدد الآلهة ومكافحة سلطان الكهنة . ولذلك يحسن بنا أن نتتبع الدرجات التى انتهت الى هذه النتيجة

ففى أيام بناة الأهرام كانت الدولة مستقرة والنظام سائداً والمعابد تبنى وترمم بكل عناية فى كل مكان . والايمان بالخلود بعد الموت عظيما جدا تؤيده أهرام ما زالت لايامنا قائمة . وفى مثل هذه الظروف لا يمكن أحدا أن يكون حرا فى تفكيره ولا هو يستطيع ذلك . ثم يجب ان نذكر ان الالهة كانت الهة مصر فقط

فلما كثرت الاهرام والمعابد والأضرحة أصبح من المحال ترميمها وتجديدها كلها فصارت تبلى وتتهدم وتترك على هذه الحال فيراها المصرى القديم فيفكر فى قيمة الخلود المزعوم والقوة الالهية المفروضة .ويشك فيهما . ثم يؤمن بأن الموت لا غش فيه ولا تخالطه حياة فيقول كما قال هذا الشاعر على جدران قبر إنتيف « استمتع بالدنيا »

ثم يأتي عصر الفوضى والقحط وقطع الطرق فيحلم آباؤنا من المنقذ « ابن الانسان » الذى يعمم العدل . وكأنهم يئسوا من آلهتهم

ثم يستتب النظام من جديد فى الدولة الجديدة . ولكنه ليس كنظام الدول القديمة جاء على فطرة وسذاجة وخوف من الموت . وانما هو نظام يستند الى أفكار مختمرة متصارعة قد اختلط فيها الكفر بالايمان . والدين ظاهرة اجتماعية لايختلف من أى ظاهرة أخرى . ولذلك نجد تحطمس الثالث حوالي سنة ١٥٠٠ ق . م . ينشىء امبراطورية فيحتاج الى أن يجعل آلهته امبراطورية أيضا فيصف رع بانه يرى الدنيا جميعها فى كل وقت . وهذا هو المعقول . لانه اذا كان فرعون قد ملك الدنيا فيجب أن يملك الهه الدنيا أيضا . ومادام الاله رع يملك الدنيا فماقيمة الآلهة الاخرى؟ اذ ماذا تملك الى جانبه ؟ وهذا المنطق يؤدي الى التوحيد

وبكلمة أخرى نقول ان التوسع الامبراطورى الذى قام به تحطمس الثالث هو الذى هيأ الافكار للتوحيد . لان اله مصر لم يعد خاصا بمصر بل صار الها للامبراطورية : للدنيا

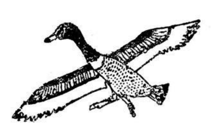
فاذا وصلنا الى اخناتون نجد أن مصر قد مضى عليها ٢٠٠ سنة وهى تتولى الحكم فى امبراطورية واسعة فيتسم التفكير فيها بالسمة العالمية . ويدعو اخناتون دعوة صريحة الى التوحيد . وهو يجد فى رع اليق الآلهة لان يتبوأ مكان الاله الواحد . وهو يسميه اتون من أسمائه القديمة ويدعو نفسه اخناتون أى الراضى باتون

وقيمة التوحيد كبيرة جدا لأنها تعنى الاخاء البشرى . وان الناس كلهم سواء امام الله . اذ هي الديموقراطية الدينية للبشر . فليس لشعب أن يقول هذا ربي وليس ربكم . بل الكل سواء

ولكن التوحيد الذى دعا اليه اخناتون فى مصر أخمده الكهنة وعادوا الى عبادة الاصنام . ولكن دعاة اخناتون نجحوا فى نشر التوحيد فى آسيا

هذه هي قصة الفكر المصرى الى عهد اخناتون (١٣٠٠ ق . م) ومابعد اخناتون ليس له قيمة كبيرة . وهذه القصة ان دلت على شيء فهى تدل على أن الشعب هو الذى يفكر وهو الذى يبتكر المذاهب والاديان الصالحة فى حين أن الكهنة يجمدون ويقاومون كل تطور

ان كثيرا من الامثال والحكم التى نعتقد أن العرب أو الاغريق قد اخترعوها انما هى من مخترعات مصر . مثال ذلك المثل القائل « القتل أنفى للقتل » فانه مثل مصرى قديم . وكذلك المقابلة بين القلم والسيف وان الاول أعظم من الثانى هو مثل مصرى قديم . ومايسمى الآن أمثال سليمان التى بالتوراة انما هي أمثال امينو موب المصرى . وكثير من الادب الاغريقى فى الياذة هوميروس يعود الي قصص مصرية . والمصريون هم أول أمة عرفت أن الدماغ هو مركز العقل وانه هو الذى يسيطر على حركات الجسم



وظيفة العلم ووظيفة الفلسفة

للاستاذ يعقوب فام

العلم يبحث عن المعرفة ، يرمي الى فهم هذه الدنيا وظواهرها المتباينة ، وكذلك الفلسفة تبحث عن المعرفة ، فكأن الاثنين يستويان فى الغاية والغرض وكأنهما متشابهان . والحقيقه أن أوجه الخلاف متعددة

(١) فوظيفة العلم الاولى أنه يجمع الحقائق التى تتصل بموضوع درسه ، يراقب الظواهر الطبيعيه التى تمس موضوعه ، ويجمعها ويدونها ، وكلما ظهر شىء جديد جمعه أيضا وأضافه الى مجموعة الحقائق التى يملكها ، الى أن يصبح فى آخر الامر وفى جعبته مجموعة كبيره متباينة عما يبحث فيه مثال ذلك أن « داروين » مكث بضع سنين يجمع كل ما يصل اليه من الحقائق عن الاحياء ، يجمعها ليس لانه يريد أن يدعم بها وجهة نظره بأى حال من الاحوال ، وانما أخذ يجمعها ويختزنها لمجرد الجمع والاختزان ، وبعبارة أخرى كان داروين عالما بأدق معانى الكلمة

(٢) ثم يأخذ العلم فى وصف الحقائق التى يجمعها ، أو وصف الموضوع الذى يدرسه ، فالماء سائل ، ثقله النوعى كذا ، يتبخر فى درجة حرارة معينة ، ويتجمد فى درجة حرارة أخرى معينة يحدث له كيت وكيت تحت ضغط معين ، يفعل كذا وكذا فى الاملاح وفى المعادن ، يتخذ شكل الوعاء الذى يوضع فيه ، مركب من كذا وكذا من العناصر ، ونسبة العناصر الى بعضها هى كذا يتركب فى حالات معينة وينحل الى عناصره الاولية فى حالات أخرى معينة ، ثم يتناول عناصره الاولية بالوصف التفصيلى ، ويبين خواص كل منها فى جميع الحالات ، وتصرف هذه العناصر فى الظروف المختلفه المتباينة ، وبالاختصار نرى أن العلم يتناول الاشياء من ناحيتها الوصفية

(٣) والعلم عمل آخر هو مغرم به لانه قد ثبت له بالتجربة أن هذه الوظيفة معينة له على الوصول إلى الحقائق التى يسعى فى الحصول عليها ، وهذا العمل أو هذه الوظيفة هى التحليل ، فما تكاد تصل الى يديه مادة غريبة أو جسم طريف إلا ويسارع به الى المعمل ليحلله الى عناصره الاولية ليرى مم يتركب ، يفعل ذلك فى الذرات المادية وفى الخلايا الحية على السواء

(٤) بعد أن يجمع هذه الحقائق ويضمها الى بعضها ، يأخذ فى تبويبها وتقسيمها الى مجاميع متشابهة مشتركة فى خاصة واحدة أو فى مجموعة من الخواص ، يميز كل مجموعة منها باسم خاص ، أو باصطلاح معين يدعوها به كلما أراد الدلالة على صفات معينة . فيقسم الظواهر الطبيعية الي مجاميع ، كالغازات والسوائل والجوامد ، ثم الاجسام الحية وغير الحية ، ثم النباتات والحيوانات، ثم العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية والعلوم الرياضية ، وهكذا يقوم العلم بالترتيب والتبويب ويجده وسيلة نافعة له فى فهم الاشياء

(٥) ثم بعد ذلك يحاول أن يشرح الظواهر الطبيعية او الحقائق التى تعرض له ، وبمعنى آخر يدل علي الحالات التى تحدث فيها الحوادث ، أو الشروط التى يجب أن تتوافر حتى تحصل بعض النتائج ، فمثلا يجد أنه عندما تتوافر حالة معينة فى جسم حى كأن ترتفع حرارة الانسان بشكل معين وتظهر عليه عوارض معينة ، ونوع من الحمى معين ، يجد أنه لابد أن يكون قد سبق هذه الحالة دخول ميكروب معين فى جسم الانسان وهو ميكروب الملاريا ، يلاحظ هذا الميكروب ويشاهده ويدون ملاحظاته ومشاهداته ، ثم ينتظره فى كل الحالات المتشابهة ، فعندما تظهر العوارض المتقدمة يتوجه فى الحال الى الدم ويحلله ويستبعد كل الاشياء والمواد التى يعرف أنها سوف توجد فى محتويات الدم ، ثم يصوب ميكروسكوبه الى الباقي فيجد كما كان ينتظر ذلك الميكروب بعينه ، فكيف أتى هذا الميكروب ؟ وكيف حمل الى الجسم الحي ؟ وكيف دفع الى الدم ؟ هذه أسئلة تجعله يبدأ بجمع الحقائق مرة أخرى وتبويبها من جديد ، فيجد مثلا أنه يسبق دخول هذا الميكروب الى الدم اتصال نوع معين من البعوض بجسم الانسان ولدغه وامتصاص قدر من دمه ، ويجد فى نفس الوقت أن بعض الانواع الاخرى من البعوض ، وجميع الحشرات الاخرى لاتحدث مثل هذه النتيجة فى الانسان ، فيذهب يستقصى تاريخ هذه البعوضة بالذات من يوم خروجها من البيضة الي أن تحط على جسم الانسان وتلدغه

وبعبارة أخرى يعتقد العلم — وهذا من القواعد الاساسية عنده — أن لكل نتيجة سبباً ، وان هذا السبب يسبق النتيجة دائما فى الترتيب الزمنى . ويحاول — وهو ينجح دائما فى محاولته هذه — أن يبين الحوادث مرتبطة بأسبابها ، و « كيف » انه عندما يتوافر السبب وتكتمل فيه جميع الشروط المطلوبة لابد أن تحدث النتيجة المعلومة . ومن هذه القضية الاساسية عنده يتدرج الى غاياته التى يسعى اليها ، فمتى وجد نتيجة معينة يذهب مباشرة يفتش على السبب المعلوم ، او متى

عرض له سبب ينتظر مطمئنا النتيجة المحتومة

ولا نغالى بحال من الاحوال اذا نحن زعمنا بأن المسألة السببية هى عند العلم حجر الزاوية، والاساس الذى يقوم عليه كل شيء، ولذلك نرى انه يستطيع فى جميع الحالات المعلومة أن يدل على «كيف» يحدث هذا الحدث «وكيف» توجد هذه النتيجة، و «كيف» يمرض الانسان و «كيف» يصح بدنه و «كيف» تتحرك الكتل المادية و «كيف» تسكن الى آخر هذه الظواهر الطبيعية

ثم من قضاياه الاساسية أيضا مسألة الزمن فى السببية، أو ترتيب الحوادث والظواهر ترتيباً يراعى فيه الزمن. فالسبب دائما أبدا يسبق النتيجة، ولا يصح العكس بحال من الاحوال، أما «لماذا» يسبق السبب النتيجة فهذه قضية لاتدخل فى حساب العلم لان العلم بعيد عن هذه القضية أو هذا السؤال. ثم هو لايحاول أن يعالج مشكلة أخرى لاتقل عن هذه أهميه، وهى «لماذا» كان لابد لكل نتيجة سبب أو «لماذا» كان هذا السبب أصلا؟ ولماذا يفرض وجود هذه السببية فرضاً؟ كل هذه أسئلة لايحاول العلم أن يعالجها لانها ليست من اختصاصه ولا تقع فى دائرة نشاطه: هذه معضلة يتركها للفلسفة وسوف نتناولها عندما نتكلم عن دائرة نشاط الفلسفة

(٦) وللعلم وظيفة أخرى تميزه عن وظيفة الفلسفة وهى انه يحاول أن يضع للظواهر الطبيعية أو الحوادث (Events) قوانين عامة شاملة تربط بعضها ببعض. والواقع أن قوانين العلم ليس لها صفة الالزام بحال من الاحوال، فليس وجود القانون معناه أن هنا لك قوة أو ارادة ترغم الاشياء على التصرف بهذا الاسلوب، وبعبارة أخرى ان القانون فى الابحاث العلمية لايخرج عن أن يكون وصفا للظواهر أو الحوادث الطبيعية

فقانون الجاذبية مثلا ليس هو فى الواقع شيئا سوى وصف لما يحدث فى هذه الارض وفى الاجرام السماوية، فالاجرام السماوية أو الاجسام الارضية لاتخضع فى الواقع لقانون الجاذبية. ليس فى هذا القانون قوة ملزمة للاشياء تجعلها تتصرف بهذه الطريقة أو بتلك، وانما هو لايعدو أن يكون وصفا بسيطاً لبعض الظواهر التى تحدث، أو هو وصف لكيفية الحدوث ليس غير. يزعم هذا القانون أن «الاجسام تجذب بعضها بعضاً بنسبة أحجامها طردا وبنسبة مربع المسافة بينها عكسا» أو كأن مقدرة جسم معين على جذب جسم آخر تتوقف على حجمه وعلى قربه من الجسم الآخر، وظاهر من هذا الكلام أنه كلام وصفى لاغير، لايعدو أن يكون شرحا لظاهرة طبيعية

وليس فى القانون خاصة تجعل الاجسام تخضع له ، وكل ما لهذا القانون من شأن أو أهمية أنه وصف عام شامل لتصرف جميع الاجسام السماوية أو الارضية

وملخص القول فى العلم أنه :

(١) يجمع الحقائق

(٢) ثم يصف هذه الحقائق

(٣) ويحلل الظواهر

(٤) ويسعى لمعرفة الاسباب والنتائج

(٥) ثم يستنبط القوانين العامة

ولو أمعنا النظر فى جميع هذه الوظائف لوجدنا أنها فى الواقع تندرج جميعها تحت باب واحد وهو الوصف وأنها كلها لاتصلح الا أن تكون جوابا لاحد سؤالين وهما « كيف » و « كم » وقد نجح العلم فى ميدانه نجاحا منقطع النظير ، واجاب على الاسئلة التى وجهت اليه فى دائرة اختصاصه وأصبح فى وقت من الاوقات يفاخر الفلسفة ويشمخ عليها بأنفه وان كان قد أخذ فى الثلاثين السنة الماضية يعود الى تواضعه المعهود ، وأمسك عن التدخل فى الشئون التى لاتعنيه

* * *

وللفلسفة وظيفتان مهمتان :

الاولى أنها تبحث فى القضايا التى لاتقع فى دائرة العلم بحكم وظيفته ، فهو يتناول الاشياء فى أجزائها وهى تتناولها فى مجموعها. العلم يبحث « كيف » تحدث الحوادث وتظهر الظواهر. والفلسفة تبحث فى « لماذا » هذه الحوادث والظواهر ، هو يتناول الكون من ناحية وصفه ، وهى تتناوله من ناحية معناه . العلم يصف والفلسفة تحاول أن تعطى للاشياء قيمة وقدرا . العلم يفسر الظواهر والفلسفة تريد أن تصل الى الحقائق التى تختفى وراء الظواهر

والوظيفة الاخرى للفلسفة تنحصر فى أنها تبحث فى قضايا العلم ذاته تنبه العلم الى انه ساذج فى بعض الحالات يأخذ الاشياء على علاتها ويسلم تسليما مطلقا للادوات التى يستعملها فى أبحاثه ، ويأخذ نتائجها على أنها صادقة لا تقبل الشك فى معظم الاحايين

العلم لايستعمل فى أبحاثه سوى الظواهر المشاهدة المحسوسة ، ولنضرب على ذلك مثلا بالسبب والنتيجة التى قدمناها . كل ما يعنى العلم فى هـذا الموضوع هو شيئان (١) ان السبب يسبق

النتيجة ، أو بعبارة أخرى ان العلاقة بين السبب والنتيجة هي علاقة زمنية بحتة ، ومن وجهة نظر العلم ، بكيفية هذه العلاقة دون غيرها فهو لذلك لايحاول بحال أن يبحث وراء علاقة أخري قد تكون اوثق من مجرد الترتيب الزمني ، ولذلك متى أراد العلم امرا هيأ له اسبابه في فترة من الزمان ، ثم اطمأن واثقا بانه سوف يحصل على النتيجة المطلوبة في الفترة الزمنية التالية

والشيء الثاني الذي يعنى العلم به كل العناية هو مجرد رأي او نظرية له عن الكون ابتدعها ابتداعا واخترعها اختراعا ثم استخدمها في شئونه استخداما متواصلا ، وهذه النظرية او هذا الرأي هو ان الكون منتظم يتبع قوانين موضوعة لايحيد عنها بأى حال من الاحوال . يؤمن العلم بأن الكون صادق في ظواهره لايكذب ولا يخدع ، موثوق به لايتصرف في الغد الا كما تصرف بالامس ، وبعبارة اخري يؤمن بأن الكون منظم مرتب لايمكن ان يحيد عن خطته الموضوعة له او يخالف القوانين المألوفة لديه ، فالاجسام تجذب بعضها بنسبة معينة ، وهذا هو المشاهد بالامس وقد خضعت جميع الاجرام لهذا القانون فيما سبق ، وهذا بالطبع حق لاينازع العلم فيه منازع

وإنما العلم لايقف عند هذا الحد ، بل يتعداه ويفترض افتراضا لايقوم عليه دليل بحال بأن الكون سوف يخضع لهذا القانون في المستقبل ، وسوف تجذب الاجسام بعضها بعضا بهذه الكيفية في الغد كما فعلت بالامس . واذ نسأل العلم لماذا يفعل الكون هكذا ، ولماذا هو مطالب بان يتصرف في غده كما تصرف في أمسه يجيب بأنه موقن بهذا لان الكون منتظم لايناقض بعضه بعضا ، مرتب لا يشذ بعضه عن بعض

ولكن الفلسفة لاتسلم بهذا على علاته بل تلحف بالسؤال وتتطلب الجواب ، تتساءل الفلسفة قائلة : « وكيف عرفت ايها العلم ان الكون يخضع للقوانين ؟ » يقول العلم : «عرفت ذلك من جميع التجارب السابقة التى أجريتها »والفلسفة لاتجهل بالطبع جميع هذه التجارب . ولكنها تصر على أن ما قد حصل لايعين ماسوف يحصل في المستقبل . فقد يخلف الكون ظن العلم في انه يخضع للقوانين . يجوز ذلك بالطبع . والعلم يسلم به ولا ينازع فيه . وكل مايزعمه العلم في الواقع ان قانونية الكون أو انتظامه هو في الواقع مبنى على ايمان او ظن

الواقع ان العلم لم يبحث علة الانتظام في الكون وخضوعه للقوانين العامة . لم يبحث هذا لانه ليس من شأنه ان يبحثه . وبحثه إياه ـ على فرض انه ازمع البحث فيه ـ لايهم العلم ولا يقدم او يؤخر في ابحاثه العادية . وانما كل مايهمه من خضوع الكون لقوانين عامة تربط تصرفه

جزئياته . ان هذه الجزئيات تتصرف بالطريقة التي ينتظرها العلم . فليس من شأنه مثلا ان يفهم طبيعة السببية أو هل السبب عامل موجب في النتيجة . أم أن الصلة بينهما مجرد صلة زمنية فيسبق السبب النتيجة ثم ينتهي الموضوع عند هذا الحد . لايهمه هل السبب يخلق النتيجة . أم يوجدها بشكل من الاشكال . وهل هذا التتابع بينهما ينبني على قوة ملزمة في طبيعة السبب . أو على وجود عقل في الـكون يحتم هذا الارتباط بينهمـا . لايهم العلم شيء من هـذا . وانما كل مايهمه هو أن يجد النتيجة المطلوبة عندما يجهز لها أسبابها أو انه عندما يمنع السبب بمحض إرادته تمتنع النتيجة بالتبعية

ولـكن الفلسفة تبحث في نفس هذا الشيء الذي لايهتم له العلم . تبحث في طبيعة هذا الارتباط بينهما ، وتتساءل عن نوع هذا الالزام ، ولماذا تتبع النتيجة السبب ، لماذا لاتتقدمه مثلا ؟ يقول العلم ان دخول نوع معين من الميكروبات في جسم الانسان يسبب له الاصابة بحمى التيفويد ، فتسأل الفلسفة لماذا يصاب الانسان بهذه الحمى عندما تدخل هذه الميكروبات في جسمه ، وما العلاقة بين الميكروب وهل الحمي من صنع الميكروب وبارادته ، ولماذا يتحتم هذا الارتباط بينهما، وهل هذا الانحتام من فعل الميكروب ذاته ، أم من فعل قوة خارجة عنه ، أم هل مجرد السبق في الزمن كاف لحل هذا المشكل ؟ وبالاختصار فان السببية موضوع للفلسفة دون العلم

ثم تسأل الفلسفة ، إذا كان لـكل نتيجة سبب ، أو لـكل حادث قوة أو شيء يحدثه ، فما أصل هذا السبب ، من أحدثه وكيف وقع في هذا الـكون ؟ لابد وان يكون له هو بدوره شيء انتجه . لابد وان يكون السبب نفسه نتيجة لسبب آخر قبله ، ولنفرض أن كل سبب نتج عن سبب تقدمه ، فما هو السبب الاصلي أو الاولي الذي أوجد كل هذه الاشياء والحوادث والظواهر ؟ ولسنا نتعنت في ايراد هذا السؤال ، لانه قد ورد على الانسانية من قديم الزمان وحاولوا له جوابا

ولـكن نظام السببية هذا له لوازم لابد وأن تتبعه كظله ، له نتيجة منطقية لايمـكن ان نتحلل منها ، وهي ان الحوادث تحدث بتقدير معين ، وبارادة معينة وبنظام موضوع محكم يخضع الحوادث للزمن ، ويلغى التصرفات ولا يمـكن لشيء أن يحدث الا متى أريد له أن يحـدث ، واذن نكون نحن أيضا آلات صغيرة في دولاب الزمن ، نسير لانه يسير ، وننفعل لانه يراد لنا أن ننفعل ونتصرف لاننا مضطرون لهذا التصرف دون سواه ، فكأن القاتل لامحيص له عن أن يقتل لأن النظام الآلي للـكون يسلبه كل ذرة من الحرية ، ولان نظام السببية هذا يجعل الـكون كدولاب

كبير يدور فى مجموعة وليس لاجزائه إلا أن تدور معه دون بحث او تفكير

وكيف يكون الحال هكذا على حين أننا نشعر كأفراد أن لنا حق الاختيار وحق العمل المستقل كيف ينسجم نظام السببية هذا مع ما أشعر به أنا فى قرارة نفسى من أن لي الحرية أن أكتب هذه الصفحات أولا أكتبها ؟ وكيف تتفق هذه الآلية مع نظامنا الاجتماعى ؟ اذ أن فى هذا النظام الاجتماعى يحاسب كل انسان على مافعل ، ولا يقبل منه تعلات أومعاذير ، فالمخطىء يجازى والمحسن يثاب دون التفات الى هذا النظام الآلي للكون ، ودون التفات الى النظرية السببية التى فرضها العلم على الكون فرضا وسار بمقتضاها فى أبحاثه المختلفة ، والنتيجة أن شعور الفرد بحريته يتنافى مع نظرية العلم فى السببية ، وهذا بالطبع وحده كاف لان تأخذ الفلسفة علي عاتقها بحث هذه القضية من أساسها بحثا بعيدا عن التحزب لرأى معين

ثم اذا كان كل شىء مقدراً تقديراً ، وكان الكون يخضع لنظام معين لايمكن أن يحيد عنه فما هي غاية هذا الكون ؟ إذا كانت نظرية السببية صحيحة فالى أين يسير بنا هذا النظام لابد وأن تكون للكون غاية يسعى اليها وغرض يرمي اليه ، فما هو هذا الغرض ؟ يقول العلم ان الكون يسير بمقتضى خطة موضوعه ، فمن وضع هذه الخطة أولا ، ولماذا وضعت هذه الخطة وماذا ترمي اليه ؟ هذا أيضا تبحثه الفلسفة لانها معنية بأمثال هذه القضايا التى لاتهم العلم

ومع ذلك ، وبرغم ماتقدم ، قد يجوز أن العلم مخطىء فى تمسكه بنظرية السببية هذه ، وقد يجوز أنه أخطأ فى تقديره ان لكل سبب نتيجة ، وأن كل نتيجة تتبع سببا . قد يمكن أن تكون الصلة الزمنية بينهما مجرد وهم أو مصادفة ، فقد يمكن أن الحوادث تحدث من تلقاء نفسها وبالمصادفة دون تدخل من أحد أو من شىء . قد يجوز أن يصاب المرء بالتيفوئيد لمجرد أنه أصيب بها دون أن يكون هنالك سبب او نتيجة ودون ان يكون هنالك ارتباط بين هذا الحدث والحوادث الاخرى مثل دخول الميكروب الى جسمه ، اذا صح هذا — ولا يهم الفلسفة سواء أصح أم لم يصح — يكون الكون عبارة عن أجزاء مستقلة حرة لايرتبط أحدها بالآخر الا عن عن طريق الوجود — فليس يرتبط التيفوئيد بالميكروب إلا أن هذا موجود . وذاك أيضا موجود . وكل منهما يتصرف مستقلا عن الآخر فى حدود اختصاصه

وبالاختصار نرى أن العلم يضع نظريات وقوانين عامة يطبقها فى الحالات الخاصة . ويجد أن هذه الطريقة تصلح له فى عمله . يفرض أن لكل سبب نتيجة مثلا أو يفرض أن الكون خاضع

لنظم وقوانين لايحيد عنها . ثم يسير العلم فى شئونه على هذا الزعم كأنه حقيقة واقعة لاشك فيها وهو يفعل ذلك لانه عالج بعض الحقائق الموضوعية وبعض الاختبارات وبعض الحوادث فتبين له أنها على الارجح تخضع لمثل هذه القوانين العامة . فيفترض وجود هذه القوانين والنظم ويذهب لشأنه يعالج هذه الحقائق الموضوعية لايعنيه شيء بعد هذا . واذا سألته هل يدرى ان فروضه هذه حق . يجيبك أنه لايقطع بصحة ذلك قطعا باتا . ثم هو لايعنيه صحتها او عدم صحتها . وانما يعنيه شيء واحد وهو أنها قد حققت له اغراضه التي يسعي اليها . ثم اذا سألته هل هو واثق من أن هذه القوانين سوف تصدق فى المستقبل يجيبك انه لايدري . ولا يعنيه أن يدرى . وان كانت على الارجح سوف تصدق

اما الفلسفة فلا تكتفى بهذا . وانما تبحث وتجد وتجتهد الى ان توفق الى حل الاشكال فيتبين لها صواب هذه القوانين من خطئها . ولكنها على كل حال لاتنى تبحث وتدرس . حقا انها لم تصل الى نتائج باهرة قوية كما فعل العلم وكما لايزال يفعل فى كل يوم . وحقا ان موقفها كان سالبا اكثر منه موجبا فى هذه الابحاث — وهذا بالطبع أحد الاسباب التى جعلت العامة تنصرف عنها الى العلم — ولكنها على اى حال قد أدت واجبها فى كثير من الاحيان . ومن هذا الواجب انها نبهت العلم الي كثير من اغلاطه التى وقع فيها واظهر هذه الاغلاط وضوحا ايمانه المطلق بصواب نتائجه التى وصل اليها

اتي على العلم وقت كان يقطع فيه بصحة نتائجه . ولا يني يؤكد بكل مايملك من قواه ان هذه النتائج حق لايأتيها الباطل باي شكل من الاشكال . وانه اذا كان فى الوجود شيء اسمه حق فيكون هذا الشيء هو الحقائق العلمية : وامعن فى هذا التوكيد بشكل طغى على كل تفكير آخر حتى عدنا لانسمع بشيء ولا يسمح لنا ان نسمع بشيء الا اذا اقره العلم . والعلم شكل العالم بطريقة آلية مادية ينتفى معها كل اثر للقيم والغايات . فأصبح الكون آلة كبيرة تدور كالعجلة ولاتعلم لماذا هي تدور . وأصبحت المادية هى الدين الذي لايوجد دين سواه

فعل العلم كل هذا ناسيا ان الارض التى يقف عليها لاتثبت لنقد منطقى يوجه اليها . وكان ان الفلسفة خدمته بأن نزعت من رأسه الغرور ورجعته نوعا الى صوابه . فأصبح اليوم يعيش معها جنبا الى جنب . كل منها يسعد بابحاثه فى دائرته دون أن يعتدي على الآخر او يقرب منه . الا اذا كان لاطلاعه على كشف جديد او مفاوضة فى الرأى

لم تثبت الارض تحت قدمي العلم لسبب بسيط جدا تقدمت به الفلسفة والحمته به . فعاد متواضعاً حيياً كما يجب أن يكون العلم . من المعلوم أن العلم يبحث عن الحقائق الموضوعية والان ماهي هذه الحقائق الموضوعية؟ والواجب الذي نحظي به بالطبع هو أن الحقيقة الموضوعية هي مانشاهده أو ما نختبره في حياتنا ، والمشاهدة والاختبار بالطبع لايأتيان إلا عن طريق الحس ، كاللمس أو السمع أو النظر ، وكأن العلم يقول بعبارة أخرى : ان الحقيقة هي ما أتوصل اليه عن طريق واحد من أدوات الحس هذه . فاذا كان الامر كما ذكرنا ، واذا كان كل مانعلمه عن هذه الحقائق آتيا الينا عن طريق الحس فقط ، فهل يحسن بنا أن نأمن هذه الادوات دون غيرها في الوصول الى هـذه الحقائق ؟ هل نستطيع أن نفعل ذلك مطمئنين . والواقع أن أقل مايقال فيها أنها لاتقدم لنا الاشياء على حقيقتها

والبرهان على ان الحواس لاتقدم لنا الاشياء على حقيقتها قريب منا او هو بين أيدينا . ونستطيع أن نأخذه من العلم نفسه فنريح أنفسنا عناء التدليل بأدلة خارجيـة . أنا الآن جالس الى مكتبي أكتب هذه الـكلمة . وأمامي مكتب من الخشب الصلب القوى له طول وعرض وارتفاع . وهو كتلة واحدة لايتخللها فراغ بأي شكل من الاشكال . او على الاقل حواسي جميعها تدلني على أن أجزاءه مرتبطة ببعضها بشكل لاتجعل بينها فراغا ؛ ولـكن ما الرأى اذا كان العلم نفسه قد أثبت أنه مركب من الـكترونات وبروتونات . وان هذه وتلك طاقة كهربائيه لامادة فيهـا وان الفراغ بينها أكثر بكثير من الشحنات الـكهربائية الموجودة فيها . وبمعنى آخر ان المـكتب الذى أكتب عليه ليس هو بمادة ولا صلب ويتخلله الفراغ الـكثير . أو بعبارة أخري أن حواسي لم تصدق ولا في واحدة من الحقائق التي أدخلتهـا في رأسي ومع ذلك فالعلم يعتمد في الوصول الي الحقائق على هذه الحواس التي برهن العلم نفسه على انها قد لاتصدق . وقد لاتنقل الاشياء على حقيقتها

هذا مثل واحد على ان الحواس التي يعتمد العلم عليها في الـكشف عن الحقائق قد تخطىء — بل لابد وان تخطىء . ونحن نعلم بالطبع أن حياتنا كلها واختباراتنا جميعها — من يوم أن نولد الي يوم نموت مؤسسة على هذه الحواس . ونحن نأخذ أخبارها على انها قضية مسلمة صادقة تتفق مع الحقائق التي تحيط بنا . وسنتناول هذا بالشرح والتفصيل في وقت آخر . ويكفي هنا ان ننبه الى ان المدركات الحسية او الصور التي تدخل أذهاننا عن الاجسام والاشياء حوالينا قدلاتتفق مع حقيقة هذه الاشياء على الاطلاق واقرب مثل أمامنا هو كروية الارض فكل حواسنا تؤكد لنا انها

مسطحة ولا يمكن إلا ان تكون مسطحة بينما العقل اثبت بما لا يدع مجالا للشك انها ليست كذلك

تبين الان ان من وظائف الفلسفة انها تنبه العلم الى الحفر التى تعترض طريقه والتى قد يتردى فيها إن لم يحترس لنفسه . فكل قضاياه الكبرى التى يتمسك بها ويجدها صالحة له فى اعماله التى يضطلع بها قد تكون خطأ من أساسها . وقد يجوز ان وسائله التى يستخدمها فى ابحاثه تعجز عن اظهار هذا الخطأ فى قضاياه . اما الفلسفة فتقدم له هذه الخدمة فى جميع الادوار

القدرة مع العجز

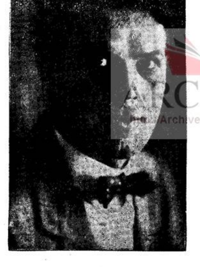
فيوليتا فتاة المانية تبلغ ٣٥ عاما . وقد ولدت بلا يدين ولا ذراعين . وكان أبوها رجلا حكيما رأى أنه اذا ساعدها فى طفولتها نشأت عاجزة تحتاج الى المعونة مدى حياتها فتركها منذ الفطام تخدم نفسها . وكان هذا العمل قاسيا جداً لان الطفلة كانت تستنفد عقلها وعضلاتها فى الابتكار لكى تأكل وتشرب وتلبس ملابسها وتنزعها وتمشط شعرها وتغسل وجهها . ولكنها الآن تعرف أن هذه القسوة كانت رحمة فان أبويها ماتا وهي لم تحتج بعدهما الى معونة أحد . وجميع حواسها سليمة وهي تقرأ وتلضم الابرة وتخيط القماش . وهذا يدلنا على أن قدرة الانسان — حتى مع العجز — عظيمة جدا اذا هي ربيت ونميت

قصة الدكتور ابراهيم

تأليف جون نيتل وتلخيص الآنسة أمينة السعيد

◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎ ◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎

مؤلف هـذا الـكتاب رجل معروف فى الادب اسمـه جون نيتل مؤلف الـكتاب الشهير « Via Mala » (أو طريق الشر) وقد زار مصر منذ ثلاثين عاما فأحبها واستوطنها وهو يسكن الان قرية عـين شمس جوار المطرية .



جون نيتل

وجون نيتل رجل معروف بين علية القوم وله صلات متينة بكثير من الساسة فى مصر . يحب مصر كما يقول ويتخذ ذلك الحب عذرا لنقده وهذا النقد وان كان لاذعا إلا انه الحقيقة بعينها فهو بكتابه هذا انما يشخص الداء ويصف الدواء ثم يترك لنا تعاطى هذا الدواء والعمل على التخلص من عيوبنا وامراضنا الاجتماعية

وهذا الـكتاب يحتوى على تاريخ حياة طبيب قبطى اسمه ابراهيم وعلى لسان الدكتور ابرهيم ينتقد المؤلف سبل التعليم فى مصر وما فيها من قضاء على الوطنية والذكاء . . . ينتقد احترامنـا الذى لامبرر له للاجانب ومجانة الاجانب التى هى اجابة على ذلك الاحـترام ... ينتقد الشباب فى نزواتهم ووطنيتهم ثم ينتقد سوء الادارة فى مستشفى قصر العينى وغيره من المستشفيات ويحمل حملة شديدة على الذين يعرقلون سير الاصلاح فى مصر

* * *

كان إبراهيم طفلا لاسرة قبطية فقيرة تسكن مدينة أسيوط وكان والده يمتلك دكانا صغيرا للعطارة . وقد مرض ابراهيم وهو فى السادسة من عمره واشتد عليه الداء . ولما كانت الاسرة لا تحتمل

نفقات الطبيب فقد استدعى الحلاق لعلاجه ... وانكب الحلاق على علاجه بعقاقير تتناسب وجهله فى فن الطب . وساءت حالة ابرهيم وازداد معها قلق الام فكانت تلق بالعقاقير سرا ولا تعطى ولدها إلا اللبن الطازج والبصل ... وبفضل هذا العلاج الساذج تحسنت حالة الطفل واستطاع فى أيام قليلة أن يترك الفراش ويجول قليلا فى المدينة

وفى يوم بلغ ابراهيم أن هناك مستشفى يؤمه اناس كثيرون للعلاج ويديره أطباء معروفون فذهب اليه ووقف يتطلع الي الداخل بشغف. وفجأة ارتفع صوته من بين قضبان السور ... اننى مريض ... اننى أموت فبالله عالجونى .وكان الجواب على ندائه أن لحق به التمورجى وضربه عصا جعلته يجرى بعيدا صارخا عاويا كالكلب المسعور .. ومنذ تلك اللحظه عقد ابراهيم النية على ان يكون طبيبا يعمل للانسانية لا المال .. طبيبا لايضرب فقراء المرضى ولا يطردهم وانما يعالجهم بفنه وروحه ويحنو عليهم حنو الام الرؤوم

وبدأ ابراهيم يفكر فى تحقيق أمنيته فخيل اليه ان النقود هي السبيل الوحيد فطلبها من والده وكان نصيبه الضرب طبعا .ولم يثنه هذا الاذى عن عزمه فخرج يبحث عن المال وقابله فى الطريق اعرابي يقود بعيرا وقبل ابراهيم ان يقود له البعير الى « السلخانة » فى مقابل قرش واحد حفظه ابراهيم فيما بعد ليكون الحجر الاول فى مصاريفه المدرسية.وفى السلخانة رأى ابراهيم الحيوانات وهى تذبح فزعج وبكى وخرج عاقدا النية على ان لا يعود اليها ولو كان فى مقابل قرشين لاقرش واحد. ولكن فى صبيحة اليوم التالي قادته قدماه مرة اخرى الى السلخانة فكان المه اقل مما شعر به فى الامس وهكذا اعتاد ابراهيم زيارة ذلك المكان كل صباح. وكان يسأل عن اسم كل مايراه حتى عرف اكثر مما يجب لطفل فى سنه

وفى السلخانة تلقى ابراهيم دروسه الاولى فى التشريح فقد سرق مدية من والدته كان يذبح بها صغار الحيوانات والطيور ويكتشف مافى جوفها من احشاء واعضاء

واستمرت حياة ابراهيم على هذه الوتيرة بضع سنوات الى ان حدث حادث بدل من حياته قليلا فقد مات عم غنى له وورث والده عنه بضع مئات من الجنيهات تغير بفضلها حال البيت فخلعت والدته رداءها الاسود القذر واستعاضت عنه بآخر جديد مزركش الالوان واصبحت مائدة العشاء تحليها قطعة من اللحم كل مساء . وقرر الوالد بعد ان اتته هذه الثروة المفاجئة ان يرسل ابراهيم الى المدرسة

واشترط لذلك ان يذهب دائما « بالجلابية » لان البذلة فى اعتقاده تقربنا من الاجانب وتمحو منا القومية والوطنية الحقة

وفى المدرسة تعلم ابراهيم مواد عقيمة بعيدة كل البعد عن روحه الوثابة الثائرة فكان يطلب الى المعلم ان يعطيه شيئا عن مصر وعن الحرية فكان نصيبه بعد تلك الطلبات ان يرسل الى الضابط وينال على يديه ضربا مبرحا

وفى صبيحة يوم حضر مفتش انجليزي من مصر لزيارة المدرسة فاقيم الطلبة واقعدوا لهذا الحادث الجلل واصطف التلاميذ فى ثيابهم النظيفة فى استقباله فحياهم تحية باردة واراد ان يكون لطيفا فسألهم عن الداعى الذي دعاهم الي دخول المدرسة فقالوا للتعلم ياسيدى . ولم تتعلمون ؟ فقالوا لنعمل فى الحكومة ياسيدى وهنا علت الابتسامة شفتيه وقال فقط ؟ فكان الجواب سكوتا كسكوت القبر

وهنا ثارت ثائرة ابراهيم فهتف قائلا اريد ان اكون طبيبا . فابتسم المفتش وقال لم ؟ قالوا لاعالج واشفى ابناء بلدى الفقراء . وقبل ان يتم ابراهيم كلمته صفعه الناظر صفعة شديدة لاجترائه على ذكر ابناء بلده فى حضرة هذا المفتش الكبير

ومرت الاعوام والنجاح حليف ابراهيم الى ان اضطرته المدرسة ان يترك الجلابية ويستعيض عنها بالرداء الافرنكي وخضع الاب لذلك مكرها وحين رأى ولده « بالبذلة » للمرة الاولى قال له يابنى لاتجعل الرداء الافرنكي يقضى على قوميتك بل كن مصريا فى كل شيء واعلم ان مصر لن تنال حريتها الا يوم تمزق هذا الرداء وتلقيه ارضا

وبقيت هذه العبارات عالقة ابدا بذهنه تشعل الوطنية فى ابراهيم طالبا وطبيبا ورجلا عظيما

وحين نال ابراهيم البكالوريا قرر والده وقد أصبح الآن رجلا غنيا ان يرسله الى القاهرة فى مركب شراعي ليتعلم الطب وزوده بالمال . وعند ما مر المركب على احدى قرى الصعيد اوقفها البوليس ومنعها من السير لانتشار الكوليرا فى تلك المنطقة وعرض ابراهيم خدماته على الدكتور احمد جادالله رئيس المستشفى فقبل هذا فرحا ومنذ تلك اللحظة بدأ ابراهيم خدماته للانسانية تلك الخدمات التى طالما تاقت نفسه اليها .

وكان انتشار المرض مخيفا في تلك القرية فكان افواج المرضى تدخل كل يوم وافواج الموتى تخرج كل يوم . واصيب ابراهيم بالكوليرا فى اثناء غياب الدكتور جادالله فنقله التومورجية الى احدى

الخيام واشتد المرض عليه فتحجر جسده وخيل الى من معه انه قد فارق الحياة فنقل حيا الى القبر وفى طريقه الى مقره الاخير انقذه الدكتور أحمد وعاد به الى الخيام

وحين عاد ابراهيم الى رشده بعد بضعة أيام لم يعد يرى الدكتور أحمد فلما سأل عنه قيل له انه قد أصيب هو الآخر بالكوليرا ومات مأسوفا عليه وبحث عن نقوده فوجدها هي الاخرى قد ذهبت مأسوفا عليها

وترك ابراهيم تلك القرية وقد أثقلت الاحزان قلبه على صديقه الراحل وماله المسروق وقادته قدماه الى قرية مجاورة وكان الضعف والهزال قد انهكا قواه فألقى بنفسه جوار جدار قديم وهناك رأته عزيزه الفتاة القروية الجميلة فحملته الى دار عمها فرحبوا به واكرموا وفادته . وكانت عزيزة على قدر عظيم من الجمال ذات كبرياء وأنفة قلما توجدان فى قروية فأحبها ابراهيم وأحبته هي الاخرى وكانا يتقابلان كل مساء فيمكثان معا الى مطلع الفجر وارسل ابراهيم الي والده ينبئه بضياع ماله فارسل له غيره ورجاه أن يسرع الى مصر . وكان سيد القرية باشا معروفا حضر ابنه الشاب « عباس » يوما ليطلب الى عم عزيزة السماح لها بخدمة والدته وكان غرض الشاب ظاهرا للعيان فاتفق ابراهيم وعزيزه على الهرب معا الى مصر . وفى الطريق لحق بهما ابن الباشا والخفراء وانتزعت عزيزه من ابراهيم بعد ضربه ضربا مبرحا

وعاد ابراهيم الى القاهرة وحيدا بائسا . والتحق بمدرسة الطب وسكن حجرة صغيرة بحى السيدة زينب وكان يشترك معه فى الحجرة صديق وزميل له فى المدرسة اسمه ابو بكر

ورغم صخب الحياة فى القاهرة وامتلائها بالحوادث المثيرة ما كان ابراهيم لينسى عزيزه القروية وقد عصمته ذكراها عن الاندفاع كزملائه فى مغازلة الممرضات المصريات فى قصر العيني

وكان الضرب الذى ناله ابراهيم على ايدى الخفراء قد ايقظ ما كان كامنا من حبه فكان يضرع الى الله كل مساء ان يضرب الفمرة ويرى عزيزه

وكان أبو بكر على خلاف ابراهيم مندفعا فى حوادثه الغرامية وملذاته الشخصية وكان شديد الوطنية بلسانه فقط لا بالعمل فكان مثلا يثور على قذارة الحى وعلى جهله وانحطاط مستوى ساكنيه فعرض عليه ابراهيم استئجار حجرة صغيرة فى منزلهم وتخصيصها لكى تكون مدرسة يقبل بها فقراء غلمان الحي . وضحك ابو بكر لهذا الاقتراح السخيف فأبى وفضل أن يشغل ساعات فراغه لا لتعليم جهلة شعبه بل لتدخين الحشيش ومغازلة النسوة الساقطات ومع ذلك استمر ابراهيم فى مشروعه

فافتتح المدرسة ولم تمض مدة قصيرة حتى امتلأت القاعة بصغار التلاميذ ولم يكن غرض ابراهيم تعليم القراءة والكتابة فحسب بل بث روح الوطنية والاعتزاز بالنفس فى تلاميذه واستطاع فى أسابيع قليلة ان يوقظ فيهم الروح المطلوبة فتمرد الاطفال على أهلهم طالبين منهم تنظيف المنازل والطريق وأصبحوا يرفضون تناول الطعام ان لم يكن نظيفا وثار اهل الحى لتلك الروح التى بدت على أطفالهم فذهبوا جماعات الى منزل ابراهيم وصرخوا فى وجهه ان يبعد أطفالهم عن هذه المبادىء الخطرة وان يلقنهم تعويضا عنها تعاليم القرآن . وهتف هاتف من بينهم ان ابراهيم قبطى يجهل القرآن

وحينئذ ثارت ثائرته فخطب فيهم قائلا انه ان كان قبطيا الا انه يحفظ القرآن . وانه ما أعد تلك المدرسة لهذا الغرض فهناك عشرات من الكتاتيب قد خصصت جهورها لحفظ القرآن . وانهم فى حل أن يأخذوا أطفالهم اليها أما هو فعليه واجب آخر وهو بث الوطنية الصادقة فى النفوس والحث على النظافة والنظام والدفاع عن الوطن وهذه المبادىء ان لم تكن حفظ للقرآن فهى تنفيذ لتعاليمه

وأعجب المجتمعون بهذا القول فتبدل غضبهم رضا وهكذا انتصر الاطفال واضطر الاهالى الى تنظيف منازلهم والطريق أيضا

وحدث أن كان ابراهيم وأبو بكر يجلسان معاً فى حجرتهما يدخنان فى هدوء ففوجئا بضابط انجليزى وبعض من الجنود المصريين وقبضوا على ابراهيم بتهمة أنه ثائر يدعو الى الثورة ويربيها فى النفوس . ومن سوء حظه أن كان البرهان والدليل القاطع مكتوبا على السبورة بخط يده وهو آخر درس تلقاه الاطفال ذلك الصباح وهى جمل تحض التلاميذ على كراهية الاستعمار والتفانى فى حب الوطن . وأغمى على ابراهيم تحت ضربات سياط الجنود وحين عاد الى رشده كان بالسجن يحاكم بتهمة افتتاح مدرسة دون ترخيص . وليست الحض على كراهية الاستعمار كما هو الواقع ... وثارت مدرسة الطب وأضربت احتجاجا على اعتقال ابراهيم . وكان يقود الثورة أبو بكر ولذا قبض عليه والقى فى السجن عاما . . . وبعد ثلاثة أشهر من دخول ابراهيم السجن أطلق سراحه فعاد الى حجرته فوجدها خاوية على عروشها وقد سرق ماله وملبسه وأصبح لايملك من الدنيا إلا الرداء لممزق الذى يرتديه . . . فذهب الى المدرسة وهناك حمله الطلبة على الاعناق ودخلوا به على

الدكتور هرمان الطبيب الالماني بالمستشفى الذى عطف عليه أشد العطف وأمر برده الى المدرسة مجانا وأعطاه جنيهين وبذلة قديمة من بذلاته . . .

واستأجر ابراهيم حجرة صغيرة جدا فى الجيزة . وانكب ابراهيم على دراسته بروح جديدة فهو الآن أشد مقتا واحتقاراً للاستعمار وأشد انتقاداً لحال مصر ولكنه وقد اكسبه السجن رزانة جديدة قد قرر أن يترك السياسة جانبا الى أن يتخرج طبيبا ، واذ ذاك يعود الى جهاده بسلاح أقوى وعقل أرجح . . .

وأتى فى طريق ابراهيم أحد الأمراء المصريين فعطف عليه وأحبه وقرر له مبلغا من المال الى أن يتخرج فقبل ابراهيم العطية من الامير مشترطا لقبولها اطلاق سراح ابى بكر وكان له ما أراد

ومرت الاعوام والنجاح حليف ابراهيم وتخرج من المدرسة بتفوق وعين طبيب امتياز بقصر العيني وحدث أن كان يوما يفتش على قسم الولادة فوجد بين النساء وجها يعرفه وكان هو وجه عزيزه التى كانت ترقد فى فراش والى جانبها طفل حديث الولادة . . . وعرفها ابراهيم للحال وعلم منها أن طفلها طفل غير شرعى لعباس بن الباشا . . . وهالت ابراهيم هذه النهاية التى ما كان يرضاها لحبيبته عزيزه وقرر أن يصلح ما اعوج من أخلاقها فعاد بها الى منزله وأعطاها حجرته واشترك هو وأبو بكر فى الحجرة الأخرى وحين ضم المنزل عزيزه وابراهيم للمرة الأولى نظرت اليه ولم تتكلم ففهم مارمي اليه فاجابها « كلا ياعزيزه سنكون هنا غير ما كنا فى الريف فالله يشهد اني ما أتيت بك هنا لتبعثى باولادمنك الى الرذيلة التى تنسمت هواها اننى اليوم حاميك وان كنت ما زلت أحبك الا أننى سأقتل هذا القلب لاقودك الى الطريق السوى » وانكب ابراهيم على اصلاح ما اعوج من اخلاقها ولكنها كانت دائما تفضل ان ترقص له ولصديقه او تغنى أغنية مبتذلة على أن تنصت الى تعاليمه الاخلاقية

وبدأ القلق على عزيزه فهى لاترضى بابراهيم كشقيق وأصبح هو مزعزعا بين عاطفتيه حبه لعزيزة ورغبته الصادقة فى تطهيرها من الادران التى التصقت بها وذات مساء حين عاد الى المنزل وجده خاليا فقد هربت عزيزه بصحبة ابي بكر وتركاه وحيدا لاانيس له الا تعاليمه الاخلاقية الفاشله

وعين الدكتور ابراهيم مساعدا لحكيمباشى مستشفى دمنهور فاسرع اليها هربا من القاهرة وذكرياتها المؤلمة . وفى دمنهور ذاق ابراهيم مر العذاب . فرئيسه يرتشى من الجميع حتى من

العاهرات ويضرب المرضى ويسرق أموالهم ومأكلهم فحاول ابراهيم الاصلاح ففشل. واضطر الى كتابة تقرير مفصل عن هذه الجرائم ارسله الى وزير الداخلية راجيا التحقيق

وبعد بضعة أسابيع اتى مفتش مندوب للتحقيق فقام بمهمته على أسوأ مايكون وانتهى بتوجيه تهمة الثورة الى ابراهيم ونقله الى ادفو عقابا له على اخلاصه لعمله. وعرض بعض الاجانب مبلغا من المال يفتتح به مستشفى خاصا ويترك عمله الحكومي فأبى بدعوى انه مصرى شديد الاخلاص فى عمله

وسيعمل دائما علي اصلاح الحكومة حتى يرتقى بمصر الى المقام الذى يرغب فيه لها او ينال حتفه فى ذلة وانكسار وفى ادفو استطاع أن يخدم إحدى السيدات الانجليزيات فقد أجرى لها عملية انتهت بنجاح هائل فكافأته بمبلغ كبير من المال وعرضت عليه السفر على نفقتها الى انجلترا لاتمام تعليمه وتردد أولا فى قبول السفر ولكنه اضطر اليه بعد تقديم استقالته التى اندفع اليها تحت تأثير اضطهاد صليب بك مندوب مصلحة الصحة الذى كان يطلب منه مائتين من الجنيهات فى سبيل كتابة تقرير فى صالحه. وأتم ابراهيم دراسته بانجلترا بنجاح هائل وا كتسب ثقة الانجليز فمارس مهنته هناك عشر سنوات انتهت باصابته بالسل الرئوى وعجزه عن الاستمرار بالعمل. وفى طريقه الى سويسرا للعلاج اشتد به المرض بباريس فخرج يوما للنزهة ودخل حانة صغيرة وان كانت تدعى مرقصا فهى بؤرة فساد وبين عشرات الساقطات هناك التقى ابراهيم بعزيزة. فأتت اليه باكية وقالت أنها ما كانت ترغب فى أن يراها وقدسقطت الى أسفل الدرجات وعفا ابراهيم عن عزيزة واضطرها الى ترك المكان والسفر منه لا إلى سويسرا كما كان ينبغى وانما الى مصر وقبلت هى عن طيب خاطر ترك حياتها القذرة وعادا معا ليموت ابراهيم بين ذراعيها بعد أسابيع قليلة

***

والآن أيها القارىء وقد انتهى التلخيص أحب أن أقول أن جمال الكتاب ليس فى وقائعه وانما فى نقده الصادق لعيوبنا الاجتماعية العيوب التى نعترف بها معشر المصريين فى مجالسنا الخاصة وننكرها أشد النكران فى حضرة الاجانب ...

ينتقد المؤلف سبل التعليم فى مصر وما فيها من قضاء علي الوطنيـة والذكاء. فالطفل المصرى ماهو إلا آلة تحشى بشتى المعلومات تلقن كل شىء ماعدا الوطنية والحرية والقومية فليس بعجيب

إذن أن يترك الشاب المدارس وقد نسى الوطن وما يهم الوطن وما يجب عليه نحو الوطن ويحمل نبتيل حملة شعواء على أنظمة الحكومة ونظام المستشفيات الباشمارجي هو دكتاتور المكان يدخل من يشاء ويخرج من يشاء يفرض على المرضى ضريبة مالية ومن عجز عنها فنصيبه الاهمال والشقاء والآلام ...

ويكفى لتحقيق صدق هذا القول أن نسأل أحد فقراء المرضى فى قصر العينى ليقص علينامن فظائع التمارجية أشكالا وألوانا . ويعود المؤلف فيناقش مشكلة اجتماعيـة حيوية ألا وهى مايصيب فقيرات الخادمات من الشقاء والمذلة فى البيوت . فعزيزة الفتاة القروية لم تتخذ خادمة إلا لجمالها الفتان وقد ذهبت اليه طفلة وبدل أن يتقوا الله فيها ويتعهدوها بتربيتهم علموها الفرنسية والرقص وألقوا بها بين أيدى ابنهم « البكر » ... وحين سقطت وقضى منها الوحش مأربه طردت كالكلاب خارج المنزل . هذه المشكلة حقيقة خطيرة تحدث كل يوم فى أسرنا الكبيرة والصغيرة وياله من عار أن أذكر هنا أن جماعة من الاجانب قد أنشأوا جمعية لحماية فقيرات الخادمات المصريات من اعتداء أسيادهن المصريين . وقد كشف لنا نبتيل عن مخزية أخرى من مخازينا الاجتماعية وهي انتشار الرشوة فصغار الشباب لا يصلون الى المركز الذى يتناسب ومواهبهم إلا بالرشوة . وكلنا مازلنا نذكر الفضائح التى ظهرت فى إحدى الوزارات والتى مازال التحقيق يتناولها لليوم

أما شخصية ابراهيم فهي الجمال بعينه فهو المثل الاعلى كما يجب أن يكون عليه كل مصرى فهو مثال المصرى المخلص لعمله ووطنه . مثال التضحية فى سبيل العقيدة تراه يأبى على نفسه رغباتها فى سبيل تقويم أخلاق عزيزة واصلاح مااعوج منها وليس ابراهيم بالآلة الميكانيكية فهو بحبه واخلاصه لعزيزة قد ظهر مثالا انسانيا حيا يحب ويشعر ويتألم لأجل من يحب

ينتقد الكاتب فى قسوة وشدة احترامنا الذى لا مبرر له للاجانب ووقاحة الاجانب التى هي اجابة طبيعية لهذا الاحترام — ويكفى أن نقرأ الفصل الخاص بزيارة المفتش الاجنبي للمدرسة لنرى صورة فكاهية انتقادية لاذعة فناظر المدرسة يجهد الفراش والطلبة سبعة أيام طوال استعدادا لاستقبال ضيف المدرسة العظيم وحين يحضر المفتش يأبى الناظر إلا أن يسير خلفه لاظهار خضوعه واحترامه وما تكاد تنفرج شفتى المفتش بكلمة حتى يندفع الناظر كالببغاء . وهذه الصور وان تكن قاسية إلا أنها واقعية مع الاسف فنحن اذ نكره الاجانب فانما نكرههم كراهية الكلام لا العمل . وانى أتذكر جيدا ماقصه على طبيب مصرى فى قصر العينى ... فقد حدث يوما أن كان

بباب المستشفى جمهور كبير من فقراء المرضى يقفون بالترتيب حتى يأتى دور كل منهم . وأتى رجل اجنبي اذ ذاك فتخطى من حضر قبله ولم يحترم نظام المكان وتقدم الى ردهات المستشفى دون استئذان وكان هذا العمل يكفى لطرده في أي بلد آخر يسوده احترام النفس والمحافظة على القوانين ولكن طلبة المستشفى ما كادوا يلمحون العيون الزرقاء والوجه الاجنبي حتى تسابقوا فى تقديم خدماتهم وسألوه فى احترام ظاهر عن حاجته وتطوع طالب باحضار تذكرة الدخول بنفسه ثم أدخل فى صحبة مظاهرة من الطلبة الى الطبيب الذى يقصده . وحين وصل الجمع الى الحجرة المقصودة تناسى الرجل ماقدموه اليه من خدمات فدخل دون أن يشكر أحدهم . هذا بينما يقف على باب المستشفى عدد كبير من فقراء المرضى يطلبون ويلحون فى الدخول فلا يصيبهم إلا صفعات التمارجية . . .

وعلى لسان والد ابراهيم ينتقد فينا الكاتب تشبهنا بالأجانب وأننا بعاداتنا الافرنجية ولباسنا الاجنبي قد أصبحنا عنصرا منبوذا فما نحن بالاوربيين لاننا دخلاء عليهم ولسنا منهم وما نحن بالفلاحين لأننا نأبى أن نكون كذلك. ولقد صدق جون تيتل إذا يقول أن مصر لن تنال حريتها الى يوم تمزق اللباس الاجنبي وتلقيه أرضا. وأنى وان كنت أقسو فى كلامي هذا فما ذلك إلا لأنى أرى العيب فى نفسى قبل أن أراه فى غيرى ويؤلمنى ذلك العيب وان عجزت عن مقاومته لضعف فيّ وانقياد أعمى الى المدنية الاوربية .

توفيق الحكيم

الرجل . . . والفنان

عينان فيهما هدوء البحر وعمقه ، ووجه مستطيل بين البياض والسمرة تترقرق فى نواحيه ابتسامة حلوة مشرقة ، وجسم طويل نحيل تقتحمه العين لأول ماتراه فتكاد تنكر ـ أوهى تنكر ـ أن يكون ذلك الماثل أمامها من قرأت له روائع الفن الخالد ، ولكنك لاتكاد تطمئن فى مجالسك حتى تتفجر لك نفسه عن أجمل روح محدثة ، يسحرك بحديثه العذب ، وتعجبك رقته ، ويأخذ عليك نفسك ، فاذا بشعاع عظمته يتسرب اليك حتى لتكاد تلمسه لمس اليد . يقبل عليك متحدثا فاذا أنت قبالة بحر من أى النواحى أتيته ألفيت عنده العبقرية يتوهج نورها الوقاد فى كل شىء فيه فيفيض على كل ماحوله سحراً .



الأستاذ توفيق الحكيم

والأستاذ توفيق سائغ الحديث ، رقيق الاشارة ، منبسط أسارير الوجه يترقرق الأدب والروعة والعبقرية فيه فتخرج من لديه مسحوراً بهذا الذكاء المسعر المتقد ، والعقل الراجح الوفير ، والطبيعة السمحة المشرقة الجوانب والنفس الصافية من أوضار الكلام وغثه ، واللفظ الحلو الرقاق ، والادب الجم ، إلى عذوبة روح متلألئة تفيض على محدثه بفيض من جلالها فيلمسه ولكنه يبقى عبثا ! إذا هو حاول أن يضع أصبعه على مكان هذا الجلال . أتراه فى تقاطيع وجهه ؟ أم فى حديثه ؟ أم فى طبيعته ؟ أم فى عينيه المؤتلقتين ؟ أم فى ذلك كله ؟ أم فى غير هذا ؟

قرأ الحكيم الادب العربى القديم فكان تكئة قوية لأسلوبه الرائع الجزل الذى تمسه فى كل مايكتب . وقرأ الحكيم الادب الغربى فكان عماده فى توسيع آفاق الفكر . أضف الى ذلك قريحة نفاذة قوية ، مشبوبة العبقرية ، ترى فى صغير الامور ماتعجز عنه العقول الكبيرة ، وما تتهاوى أمام شعلتها الخفاقة سجف الظلام وتتقهقر جيوشه وجحافله ، وتتفتح لها بعدها معارج الفن الرفيع ، فتصمد فيها وتأخذ باسباب الخلود ، وحسب معاصريه فخراً فى الغد أن يقال إنهم كانوا معاصريه ، وحسب الادب العربى الحديث من جلال أن يكون فيه توفيق الحكيم ليكون خير غناها ومفخرة له إذا ماتسابق فرسان الفن الخالد فى حلبة الفن الخالد

لم يقلد توفيق الحكيم أحداً فكانت كتابته صورة واضحة صادقة منه ، يجهدك البحث ويضنيك إذا حاولت أن تجد له قرينا فى أسلوبه أو خياله أو حكمته ، وإن مايتفتح أمام بصيرته يستحيل ان يتفتح إلا أمامه ، ويستحيل سواه أن يمضى فى هذا السبيل

وإنك لتقرأ لتوفيق الحكيم مايستحدثه فى الضاد من قصص أدبى ، فاذا هو يهيمن على عواطفك ويسيطر على شعورك ويتحكم فيك ، فتلقى اليه القياد ، رضيت أم أبيت ، وسواء أكنت صديقه أم عدوه أم لاهذا ولا ذاك فانا زعيم بانك ستقول : هذا هو فتى الفن ، هذا ابن بجدتها

فان كنت معه فى « أهل الكهف » طوى بك القرون القهقرى إلى تلك الفترة البعيدة ، فاذا أنت بعض من أصحاب الرقيم ، وإذا بك تلمس عن قرب ويقين ماتعاور الحياة إذ ذاك من صنوف الاضطهاد ، وإذا بك تلمس الضمير الحر وصبر الايمان ، المتمكن فى بعض القلوب ، وإذا بك تلمس بعد هذا وذاك المعجزة الخالدة العجيبة ، ويقر بها توفيق الحكيم إلى نفسك فتؤمن بها ، وتؤمن بانك أمام رجل قصاص جبار الفكر استطاع أن يتحكم فى نفسك وشعورك وعواطفك وخيالك

وطالعه فى « عودة الروح » تجد أمامك قصاصاً ماهراً لايعمد إلى البهرجة أو الادعاء ولكنه يصوغ من الحقيقة الواقعة كل مايتسرب إلى نفسك سريعا ويبهجها دون تعذر أو صعوبة فتحس بالهدوء يغمر مشاعرك ويفيض على جوانبك ، وترى فيها صورة من صور الحياة الحقة . كما ترى فيها حدبه على ذلك « الفلاح » وعطفه عليه واحترامه إياه . وترى فيها صورة من صور السخرية التى يصطنعها البعض لهذا « الفلاح » المتفصدة جبهته عرقا كل قطرة منه تضيف إلى كنوز الأثرياء المال الوفير ويستحيل عندهم إلى أصفر رنان

وهل رأيت فيها إلى صورة ذلك الفتى الناشىء وقد هيمن الحب على نفسه وجوارحه . والحب أول كلمة من أول سطر من أول صفحة من كتاب الشباب . أرأيت إلى هذا الفتى اليافع وقد رشق كيوبيد سهمه فى شغاف فؤاده ، فطأطأ هامته للحب الذى بعث فيه النشاط والجد ووسع آفاقه ؟

وهل رأيت سخريته اللاذعة باحترامنا الكلى للاجانب وتفانى الشخصية القومية فى شخصيته ؟ وهل رأيت فى جلاء مابعده من جلاء إسرافنا فى الاكرام ؟ وهل رأيت غير ذلك من صور الفن ومشاهده مايطل من ثنايا كل سطر من سطور هذه القصة المصرية الرائعة ؟

واقرأه فى « شهر زاد » وانظر كيف بعثت من خيال توفيق الحياة تتفجر حياة وإبداعا وتفيض روعة وسحراً ، وتفيض فتنة واتساقا . أنظر إلى شهر زاد قد بعثها الحكيم بعد سبات طويل تخطر كأبدع مارأت عين وأبهى ما تمنت نفس وأخلد ماسطر الفن فى سجله

لقد بعثها قصاص مصر الكبير فاطلعها غرة فى جبين الفن والادب ، وكانت روعة الخلود ورميته ومنال الأدب الرفيع وربته وكانت فى سمائه النجم اللألاء وفى ليله الداجى الأفق المكوكب المقمر باشعة الخلود

وطالعه فى « أهل الفن » ستجد توفيقا الحكيم بروحه وخياله ودقة فنه وجلاله وروعة فكره وجماله . وستجد توفيقا الحكيم العقل الوفير والحكمة الخالدة والطبيعة الفنانة التى نجمت فى أحضان خولون ، والفكرة الدقيقة التى أطلقتها على لسانه مبثوثا

* * *

وإن آخر ما أخرجته يراعة توفيق الحكيم من قصصه الرائع « محمد » آية الفن الأدبى الحديث وقصة البطولة المشرقة ، والعظمة النفسية . وشبه الشيء منجذب اليه . لقد قرأ الأستاذ الكبير توفيق سيرة الرسول العربى فى كتبها ومظانها ، كما قرأها آلاف وملايين من قبله ، وكما سيقرؤها الآلاف والملايين بعده . ولكنه أبصر بعين الفنان نور العظمة وضياء الجلال فسكبها فى رواية سيقرؤها الجميع وسيرون فيها تمكن هذا العبقرى من فن الرواية والحديث وقدمه الثابتة فى هذا المجال . وسيرون كيف أن أبواب الفن تفتحت مصاريعها أمام فكره فولجه وجاء بالمعجز المدهش وسيقول الذين فى قلوبهم مرض والذين أعمى الله بصائرهم وأسدلت سجف الغيرة على أفئدتهم ، والذين على قلوبهم أحنة من هوى مارق ، والموغورو الصدور والمتطلعون إلى العظمة وهم أخوى من الطبل الاجوف وعقولهم كالزبد الطامى سرعان مايذهب جفاء ، وطلاب الشهرة سيقول هؤلاء جميعا ومن على شاكلتهم : وما جهد توفيق الحكيم فى محمد هذا ؟ إن هو إلا رجوع الى المصادر القديمة وجعل الخطب والاحاديث فى شكل حوار ان لذ وأعجب الا أنا قد قرأناه من قبل ؟ والى هؤلاء الذين ختم الله على قلوبهم نقول ماقال الشافعى مامعناه « هذا أحسن ما عندنا فمن كان عنده أحسن منه فليأتنا به » والى هذا النفر أيضا نقول:

ـ وأين كنتم يوم كان توفيق الحكيم فى صومعته منكباً على دراسة حياة البطل الذى بعثه

الله نبيا ؟ لقد قرأتم ياهؤلاء القشور وجاء هو باللباب . وبغيتم العرض فاوفى بالجوهر وخرج به على الناس . وردّ للفن الرفيع قصة محمد جزاء ما أرضعه من لبانه شابا ويافعا

لقد تعاون الفن والعقل الراجح على تصوير محمد كما يرضاه الحق وكما يرضاه الواقع وكما ترضاه سنته ، فما أدخل الاستاذ الكبير بمعنى ولن تجد فى كتابه مغمزا تلين به قناته . وما أنطق الرسول أو أصحابه بشيء مفترى وسيبقى هذا الكتاب مرجعا ادبيا تاريخيا فنياً للجميع كما ظلت سيرة محمد براقة فتانة فيها جوانب العظمة والجلال النفسى ، والشخصية القوية والبطوله العظيمة والايمان الجم والثقة بالنفس . وسيبقى اسم « الحكيم » فى الفن شعلة تبهر أنوارها الأبصار وتطأطىء الرءوس أمامها إجلالا

إن كتاب « محمد » عمل فنى قبل كل شيء ولكنك لن تلمس فيه إلا كل مايحبب الى نفسك دراسة الكتاب وصاحبه كما تذاكرت بطله الأجيال

أسمعت باسم بحيرة الراهب ؟ أرأيت حرب قريش العوان على محمد واضطهادهم إياه ذلك الاضطهاد المرهق الذى لن تجد له شبيها إلا فى ما لقيه نصارى نجران أصحاب الأخدود من ذى نواس المتهود ؟ أرأيت ايمان أصحابه وكيف لاقوا من العذاب الامرين ، فما لانت لهم قناة ولا أرتدوا عما آمنوا به ؟ وكيف نصروه نصراً عزيزا ؟ وهل رأيت الى قريش وحوطها وكيف تعاونوا على الكيد له سراً وجهراً فما استطاعوا من ذلك شيئا ؟ وهل رأيت الى عمر بن الخطاب أو خالد بن الوليد أو عمرو ابن العاص أو غيرهم وقد كانوا أعوان الباطل على الحق ، فاذا هم يأتون محمداً مسلمين وجهيم للذى فطر السموات والارض مؤمنين بدعوة محمد وأنه رسول يوحى اليه من قبل الله ؟ وهل رأيت إلى هذه الرءوس الضخمة وقد صارت من أقوى سواعد الاسلام وكيف نشرت دعوته وحاربت أعداءه وأيدته بقلبها ولسانها ؟ والقبائل بفتيانها وشيوخها ؟ وهل رأيت قبل هذا الى محمد يخرج بمفرده يدعو قومه الى عبادة الله وترك الاوثان وليس له من معين سوى صبى صغير هو على بن أبى طالب؟ وينتهى محمد بان يسلم العرب جميعا عبدة الاوثان وينتقلون من الوثنية الى الوحدانية مرة واحدة ؟

ترى كل هذا وغيره من دقيق حياة محمد وأصحابه فى هذه القصة التى ألف بين شتاتها الأستاذ الكبير توفيق الحكيم . والتى أودع فيها الحكيم فنه فكانت درة الفن الرفيع ، وقصة الادب العربى الحديث ؟

* * *

وبعد

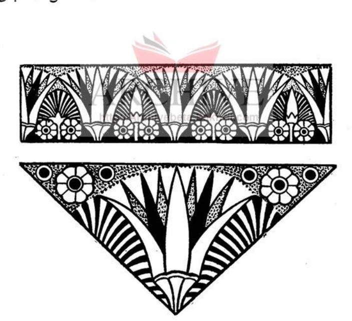
فالى بعض شبابنا الذين تنكبوا سبيل الادب نسوق قصة هذا الفنان الكبير لقد قرأ الكثير

من الادبين العربي والغربي ، وهضم الاثنين ثم مجهما أدبا جديدا له طابعه الخاص وروحه الخاصة به وعليه مسحة الشخصية التي لايشاركه فيها أحد

فليكن من توفيق الحكيم لشبابنا الذين يريدون أن يعالجوا الادب قدوة يقتفون آثارها ، ويسلكون سبيلها ، وشعلة ييممون وجههم شطرها ، ومنارة يدلجون في الليل البهيم على أنوارها ومشكاة تبدد ما كمن في بعض النفوس من شهوة للشهرة سريعا

وإني لأقول ـ وأنا واثق مما أقول ـ ان توفيقا الحكيم هو الفنان والقصاص المصري الذي سيخلد الادب الحديث آثاره ، وحسبه ـ وهو العازف عن الشهرة والادعاء ـ أن يكون للفن عنده أوفى نصيب ، وأن يكون هو ألمع درة في تاج الفن

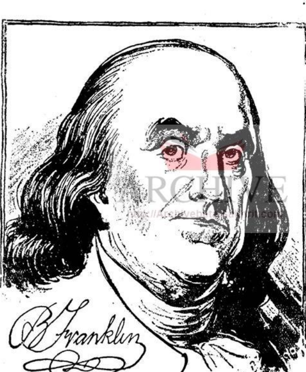
حسن محمد حبشي



بنيامين فرانكلن

ماذا يمكن الانسان أن يؤدى لبلاده من الخدمات اذا كان عبقريا له ذكاء وأخلاق ؟

فى حياة بنيامين فرانكلن الامريكى الاجابة على هذا السؤال . فقد عدد أحد أبناء وطنه بعض ميزاته فذكر منها مايلى :



بنيامين فرانكلن

كان أول أمريكى متمدن

وكان أصغر لابناء لاصغر الابناء

وكان أول فيلسوف فى القارة الامريكية

وكان أول سفير لبلاده

وهو الذى اخترع الآلة الموسيقية المسماة هارمونيكا

وهو الذى اخترع الكراسى الهزازة

وهو الذى أقام المصابيح فى الشوارع

وهو أول من استعمل الصور الكاريكاتورية للاغراض السياسية

وكذلك هو أول مخترع للمكتبة السلفية التى تعير الكتب للمشتركين فيها

وهو الذى اكتشف « مجرى الخليج »

وهو الذي اخترع « موصل البرق »
وهو الذي دعا إلى تقديم عقرب الساعة فى الصيف لكى يبكر الناس فى الاستيقاظ
وقد انتخب رئيسا لولاية بنسلفانيا أربع مرات
وهو أول من أرسل الصحف بالبريد
وهو أول من وضع الرسوم لاتجاهات العواصف الشمالية الشرقية
وهو أول من أوجد مصلحة حكومية لتنظيف الشوارع
وهو الذى اهتدى إلى أن البرق والشرارة الكهربائية شىء واحد
وهو أول من استعمل الاعلانات التجارية
وهو الذي اخترع النظارة المزدوجة
وهو أول من دعا إلى اصلاح الهجاء الانجليزي
وهو أول من عرف أن الشهيق أى النفس الخارج من صدورنا يحتوي على غاز سام
وهو أول من جعل طب الأسنان علماً صحيحاً وحرفة شريفة
وهو أول من أوجد مطافىء الحريق
وهو مؤسس الحزب الديموقراطى
وهو مؤسس نظام البريد الحديث
وهو مخترع كانون فرانكلن للطبخ
وهو الذى اخترع الملابس البيضاء فى المناطق الحارة
وهو أول من استعمل الصور فى الاعلانات
وهو الذى أدخل نبات المكانس فى أمريكا
وهو أول من فهم طبيعة الزكام
وهو أول من اخترع الطرق الحديثة للتهوية
وهو أول من استعمل الجير سمادا
وكان أحد الخمسة الذين وضعوا « اعلان الاستقلال » للولايات المتحدة سنة ١٧٧٦
وكان أحد أعضاء اللجنة التى وضعت الدستور سنة ١٧٨٥

وقد عاش ٨٤ سنة إذ ولد سنة ١٧٠٦ ومات سنة ١٧٩٩ ، ولم يعرف رجل جمع بين السياسة والبحث العلمى والاكتشاف والاختراع مثل فرانكلن . وأقرب الناس اليه جيته الأديب الالمانى وبيكون الفيلسوف الانجليزى

الاديب والشعب

منذ زمن بعيد يدأب فريق من الـكتاب ليحفروا بين الاديب والشعب هوةسحيقة، وليقنعوا الاديب أنه أعلى من الشعب ، كون من معدن غير معدنه ، وألهم لسانا غير لسانه ، وان أكبر مفخرة له أن يبقى غريبا عن الشعب ، مجهولا عنده ، حتى صارت أجل الصفات التى يمدح بها أديب ما ان يقـال عنه . « عاش ومات ولم يفهمه عصره ! » وحتى غدت فى نظر الاديب أخصر الطرق لـكى يصل إلى الشهرة أن يتعمد كتابة مالا يفهمه لا انس ولا جن !

رويدكم ياسادة ! انكم بذلك تنتزعون الطفل من صدر أمه ، وتباعدون بين المريض وطبيبه الوحيد ! . لان الشعب — مهما ادعيتم وتقولتم — بمثابة ام للاديب . تلده من دمها واحشائها . وتطعمه من فؤادها وتسهر عليه بدموعها وأفراحها . ولان الاديب — مهما وسوستم له — طبيب الشعب . يخبر من نظرة أوجاعه . وربما شعر بها قبل أن يشعر بها المريض نفسه . فيسعى لمعالجتها بما أوتيه من حس ملهم . وفكر ثاقب

كانت مسرحيات شكسبير وموليير — ولا تزال — تجمع متفرجين من كل طبقات الشعب . وكتابات جيته وتولستوي لم تكتب لطبقة خاصة من الناس . ومع ذلك فلم تكن هذه الصبغة الشعبية لتمنع شكسبير وموليير وجيته وتولستوى من أن يصبحوا كتابا عالميين وفنانين خالدين

ليعلم أدباؤنا الذين يكتبون بلغة ترجع الى ثلاثة عشر قرنا على الاقل انهم يخونون رسالتهم أشنع خيانة . وليفهم الذين ينسون آلام الشعب وعيوب المجتمع الحاضر ليتلهوا بفخرهم العنترى حينا . ودموعهم المخنثة حينا آخر . انهم جبناء يفرون من وجه الضرورة والمسؤولية فراراً مخزياً

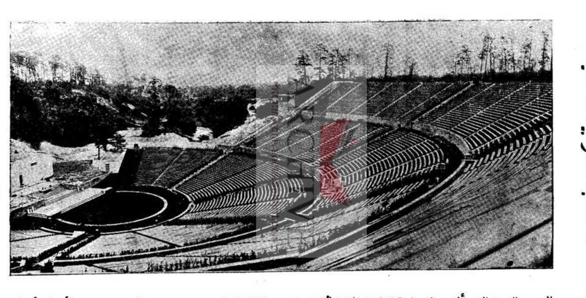
ان الانسانية لم تعبأ فى كل تاريخها بالادباء الانانيين الذين تناسوها فى سبيل اشباع كبريائهم . فهى قد نسيتهم وأهملتهم ولم تحفظ فى معبدها إلا أسماء الادباء الذين كانو مرآة لآلامها وافراحها . وخلدوا عنها صورة جامعة بين الحق والجمال

لقد آن للشعب أن يقول كلمته فى الادب والادباء . وان يوقف عندحدهم أولئك الذين يريدون أن يتجاهلوا وجوده ويقذفوه باحتقارهم

هذه الـكلمة هى : نريد أدبا عاليا وموضوعات انسانية بلغة بسيطة تستجمع شروط الفن ويفهمها الشعب

كامل عياد

الالعاب الاولمبية فى ألمانيا



المسرح الفريد الذى أنشىء فى ساحة الرياضة بالمانيا لألعاب الفروسية الاولمبية وهو يسع عشرين الف متفرج وقد أوشك أن يتم

أخبار اقتصادية

الخمر والنبيذ فى مصر

قالت مجلة الفلاحة :

اننا نعترف لفلسطين بالأولوية من حيث إتقانها لمستخرجات العنب فأصبحت اليوم من أوائل بلاد العالم صناعة للنبيذ والزبيب الجيد بينما مصر تقوم فى طريقها مصاعب واعتراضات لاحتراف هذه الصناعة «صناعة النبيذ» متخذين حجتهم فى ذلك أننا بلد اسلامى يجب ألا يصرح بعمل النبيذ فيه ، وهذا قول يناقض الواقع تماما وليس له أى وجه من الصحة . فمصر تستورد سنويا من النبيذ ما قيمته ٣١٦ ألف جنيه خلاف المشروبات الروحية الأخري كالوسكي وغيره ، فالبلد الذى يصرح بدخول الخمر ولا يمانع فى تعاطيه كيف يتأتى له أن يمنع عمل الخمر اللهم إلا اذا كان المعنى لذلك ألا نزاحم البلاد التى تصنع النبيذ بنبيذ تصنعه مصر فى أسواق مصر!

إننا نفهم أنه إما أن يمنع دخول الخمور ويمنع شربها بمصر وتمنع صناعتها أيضا ،وإما أن يصرح بدخولها وشربها وبذلك يصرح بعملها أيضا

وما نقوله هنا على النبيذ من حيث مايقام ضد صناعته من اعتراضات نقوله أيضا على صناعة الكونياك والعرقى فصناعتهما سهلة ميسورة يمكن القيام بها وفيها ربح كبير مضمون . وهذا المبلغ الذى تدفعه مصر سنويا ثمنا لما يدخل البها من نبيذ والذى يقارب نصف مليون جنيه مصرى مبلغ لايستهان به ومصر أحوج اليه وأولى به

وإن مصر لقادرة تماما على صناعة النبيذ من عنبها وفى إمكانها أن تصل بصناعته إلى درجة من الاتقان يجعلها تنافس البلدان الاخري إن جاء الوقت الذى فيه تزيد ما تصنعه من نبيذ على ما تتطلبه أسواقها . ولا يخفى ما يعود على مصر من هذه الصناعة من تشغيل عدد كبير من العمال وما يعود على مزارعى العنب من فوائد وما ينتج عن ذلك من الرغبة الاكيدة فى زيادة المسائح المنزرعة عنبا وسهولة تصريف المحصول وارتفاع ثمنه تبعا لذلك

أما من جهة تجفيف العنب وعمله زبيبا فقد قام قسم البساتين بعمل تجارب فى ذلك ونجح فيها، غير أن طريقة عمل الزبيب بفلسطين طريقة سهلة ميسورة تعطى زبيبا جيد النوع فاتباعها مع ماعندنا من أصناف عنب الزبيب التى تعد من أحسن أصنافه فى العالم تجعل عندنا آمالا كبارا فى أن يكون لهذه الصناعة شأن عظيم بمصر

صناعات أسيوط

يجدر بنا ونحن على أبواب المعرض الصناعى الزراعى العام أن نلقى نظرة على صعيد مصر مهد الصناعات ومنبع الثروة التجارية المصرية فى الماضى البعيد والقريب

لنقف فى أسيوط عاصمة هذا الصعيد وكانت فيما مضى صلة الوصل بين مصر العليا ومصر السفلى وملتقى القوافل الآتية من السودان والواحات حاملة الى مصر منتجات تلك البلاد وآخذة اليها أجود ما كانت تخرجه يد الصانع المصرى وأرض مصر

وعلاوة على شأنها التجاري الممتاز كان لأسيوط نصيب وافر من تحول المدنية المصرية القديمة فلما أسست طيبة أنبري أمراء « أسيوط » لمؤازرتها وتنبيت سلطتها ومعاونتها على دحر الرعاة الذين كانوا يحتلون مصر السفلى بعد استيلائهم على « ممفيس » فلولا أمراء « أسيوط » واخلاصهم لوطنهم لما بنت طيبة مجدها ولما كانت لمدنيتها هذه العظمة التى مازالت تحدثنا عنها آثارها الصامتة الخالدة . وحظ « أسيوط » من مجد طيبة كان كبيرا اذ اتسعت تجارتها وازدهرت صناعاتها حتى أصبحت نقطة دائرة القطر التجارية

حافظت « أسيوط » على هذا المقام الممتاز حتى بعد احتلال الاغريق والرومان فأدخل الاغريقى دون الرومانى الى مصر فنونه وعلومه وفلسفته واقتبس من مصر علومها وفنونها فتمخضت عن اندماج هاتين المدنيتين مدرسة الاسكندرية ونشأت فنون وصناعات جمعت بين النسقين المصرى والاغريقى وظلت مصر على حالها هذا الى أن جاء الفتح الاسلامى فزودها بلغته وفنونه

وبالرغم من التقلبات السياسية المتوافرة ظلت أسيوط محافظة على مقامها التجاري والصناعى الى أن تلاشت القوافل من جراء تقدم وسائل النقل السريعة فى أواخر القرن الماضى فانحصرت التجارة فى القاهرة عاصمة القطر

وبقيت أسيوط الصناعية إلى عهد قريب مورد العاج المشغول وأوانى الفخار الاحمر والاسود الزخرفية التى كانت تجمع بين أشكالها المتعددة أثار الفن الاغريقى والفن العربى وكانت تورد أيضا « الاكلمة » المصنوعة من صوف الجمال فانتشرت هذه المنتجات وتعددت أسواقها سواء فى مصر أو فى الخارج قبل الحرب العظمى وبعدها

ولما نشطت السياحة فى مصر كانت منتجات أسيوط هى الاكثر رواجا بين زوار القطر الاجانب الذين كانوا يقصدونها لمشاهدة معالمها الاثرية فى أثناء رحلاتهم فى الوجه القبلى فوجد الصانع الاسيوطى نفسه مضطرا الى استعادة فنه الماضى وأبدع فى اخراج القطع العاجبة الجميلة وكلها منتخب

من الطراز العربي ولا سيما القطع الخشبية المطعمة بالعاج وكان الزائر الاجنبي يدفع ثمن هذه المنتجات غاليا مما شجع الصانع على المثابرة والاتقان وتأثرت صناعة الا كلمة والمصنوعات المحلية الاخرى بنفس المؤثرات

أما اليوم وقد أعرض السائح عن أسيوط نرى صانع العاج الصغير يعمل ليورد لتجار مصر بالجملة وبارباح يسيرة ليقوم بحاجياته الضرورية فهو الآن لايصنع الا القطع الصغيرة التي تكاد تشبه النسق الفرعوني وقد ضاع منها معنى الفن أما الفن العربي في أشغال العاج فيوشك أن يتلاشى ان لم تأته نجدة تنعشه

ولنرجع الى صناعة أواني الفخار الاحمر والاسود الزخرفية ونستطيع القول انها أمحت لانها لم تجد في مصر رواجا

فاذا ألقينا نظرة على قائمة الاواني الزخرفية التي تردالينا من الاقطار الخارجية نرى أن مصر تدفع سنويا لمصانع هذه الاواني ألوفا من الجنيهات بينما الصناع الثلاثة والاربعة الباقون في أسيوط بالرغم من حالة الفقر المدقع التي يتخبطون فيها لم ينسوا ما بقي في جعبتهم من الفن الذي تلقوه عن آبائهم وأجدادهم وما زالوا يعملون بالرغم من ضعفهم فيضعون الاواني الخزفية التي تضارع بجمال أشكالها ونسقها الاواني الاوربية ولكنها ليست متينة مثلها لانهم يحرقونها بعد صنعها في أفران بيوتهم المتهدمة واذا دققنا النظر في سبب تلاشي هذه الصناعة ألفينا ذلك عائدا الى حالة اليأس التي دفع اليها الصانع دفعاً فلجأ الى صنع أباريق الشاي وفناجين القهوة الخالية من مظاهر الفن وذلك كله طلبا للرزق القليل من صنعها

وفي أسيوط مدرسة صناعية كبيرة تحوي أقساما كثيرة يتلقى فيها النشء شتى الصناعات ومن الغريب انها خلو من قسم لتعليم صناعة الفخار الزخرفي. فهل لرجال أسيوط — وقد انجبت أسيوط لمصر نفرا من خيرة رجالاتها — هل لهم أن ينهضوا بهذه الصناعة التي كادت تبور فيفتحون لمنتجات الفخار الزخرفي أسواقا في مصر والاسكندرية وبورسعيد وهل لهم أن يسعوا لدى وزارة المعارف لانشاء قسم لتعليم صناعة الفخار الزخرفي في مدرستهم الصناعية؟

لقد نقلنا عن أوربا أساليبها الصناعية وآلاتها فاضمحل أمام هذه الآلات الصانع الصغير بعد ما جاهد طويلا

أما صانع الفخار الزخرفي وصانع العاج فليس للآلات فيهما تأثير فلماذا لا نأخذ بيدهما ونشجعهما حتى نستطيع يوما من الايام أن نفخر بمصنوعاتهما كما نفخر اليوم بمنتجات الفن العربي المعروضة في المتاحف؟

ولماذا لا نقتنى من هذه المصنوعات القطع الكثيرة بدلا من شراء الاوانى الزخرفية المستوردة من الخارج لتزين منازلنا بما تخرجه أيدى صناعنا فنؤدى بذلك واجبين واجبا اقتصاديا للوطن وواجبا انسانيا لصغار الصناع وفقنا الله الى مافيه الصواب

انطون عساف

الحركة الصناعية فى مصر

قامت فى مصر حديثا حركة صناعية قابلة للاتساع ، وخاصة على أثر إنشاء بنك مصر فى سنة ١٩٣٠ إذ عمد الى تخصيص جزء من الاحتياطى لتشجيع الصناعات الوطنية بتكوين شركات مساهمة لها شخصية مستقلة عن شخصيته وميزانية مستقلة عن ميزانيته ولكنها تتمتع بمساعدته وتعضيده وجعل الاكتتاب فى أسهمها مقصورا على المصريين . وبذا كانت رءوس أموالها مصرية بحتة ، وعمالها والقائمون بادارتها مصريين . هذه المشروعات التى أنشئت تحت اشراف بنك مصر أوجدت روحا جديدة فى النفوس وشجعت المصريين على تثمير أموالهم فى المشروعات الصناعية والتجارية . وكان من العوامل الملائمة لنمو النهضة الصناعية تعديل الحكومة المصرية للتعريفة الجمركية وجعلها أداة لحماية الصناعات الناشئة

ويدل تعداد السكان على زيادة عدد المشتغلين بالصناعة . فبعد أن كان عددهم فى سنه ١٩١٧ يقدر بـ ٤٢٨١٩١ زاد الى ٥٤٦٢٥٩ فى سنة ١٩٢٧ أى أن نسبة الزيادة فى عشر سنوات ٢٨ فى المائة بينما بلغت زيادة السكان ١١ فى المائة . كذلك نسبة التعليم الصناعى فقد زاد عدد طلبة المدارس الصناعية من ٢٦٥٠ فى سنة ١٩١٧ الى ٦١٧٥ فى سنة ١٩٢٨ أى بزيادة ١٣٢ فى المائة فى احدى عشرة سنة . ولا أريد أن أتعرض فى هذه الكلمة الى حالة الصناعات المصرية فى الوقت الحاضر وقوة انتاجها ومدى ماوصلت اليه من النجاح إذ المقام لايتسع للاضافة فيها

عبد الحكيم الرفاعى

أخبار اجتماعية

طهارة الدم الالماني

فى البريد الاخير ان كلا من حكومتى هنغاريا ونمسا عنيت بمنع الزواج المختلط بين اليهود وبين الالمان الآريين على نحو ماتفعل الحكومة الالمانية . والمفهوم ان هذا المنع يسرى على الاريين من الالمان فقط أما غيرهم من المجريين أو النمسويين فيجوز لهم الزواج المختلط . وقد صدر فى كل من القطرين هذا القانون خدمة للالمان أو عطفا على حركتهم فى تطهير السلالة الالمانية

وربما يكون هناك خطأ فى قولنا « السلاله الالمانية » لان الحقيقة ان فى المانيا سلالتين آريتين احداهما السلالة النوردية التى ترى فى سكان الاقاليم الشمالية والتى لا يعرف غيرها فى الاقطار الاسكندناوية الثلاثة . وهم يمتازون بطول القامة وشقرة اللون واستطالة الرأس مع بروز خفيف فى الوجنتين . ثم هناك السلالة الالبيه التى يمتاز افرادها بقصر القامة واستدارة الرأس . وفى الاقاليم الجنوبية فى المانيا كما فى هنغاريا ونمسا كثير من افراد هذه السلالة . . أما السلالة الثالثة الآرية التى يطلق عليها اسم السلالة الميدترانية وهى التى ننتمي نحن اليها فلا تكاد تعرف فى المانيا . لان ابناء هذه السلالة يقيمون حول البحر الابيض المتوسط وان كان معظم سكان الجنوب فى انجلترا منها

والالمان حين يقولون بطهارة الدم الالماني لا يزعمون ان السلالات التى ينتمون اليها أرقى من غيرها . واذا كان هناك منهم من يتبجح بمثل هذا الكلام فهو فى الاغلب من الذين يندفعون اليه للحماسة الوطنية كما نندفع نحن أحيانا فى الفخر بالفراعنة أوالعرب . ولكن الالمان يقولون — وهم مصيبون — ان الاختلاط بين سلالتين بعيدتين مثل السلالة السامية والسلالة الارية او مثل الزنجي والاوربى ، هذا الاختلاط فى الزواج يؤدى الى نسل هجين قد فقد صفات ابويه . وهو ينشأ ضعيفاً فى اخلاقه مترددا فى عقائده لان جهازه العصبى والذهنى خلو من العناصر الخاصة التى يتكون منها تراث السلالة النقية

القوات البحرية

تردالانباء التلغرافية كل يوم عن المؤتمر البحري المعقود فى لندن وقد عرف القراء ان اليابان

انسحبت منه لأنها رفضت المبدأ الذى سلم بـه اعضاء المؤتمر وهـو وجوب التبادل فى المعلومات الخاصة بالبرامج البحرية بغيه تحديد القوات . ويجدر بالقراء ان يقفوا على الحقائق فى هذا الموضوع . فقد اصدرت الحكومة الفرنسية بيانا عن القوات البحرية عند الامم الكبرى جاءت فيه هذه الارقام التالية وهى تقدر الحمولة بالطن :

الولايات المتحدة	١،٣٧١،٥١٠	طن
بريطانيا	١،٣٦٢،٥٢٤	»
اليابان	٨٣٠،٧٠٠	»
فرنسا	٧٠٩٠٧٦	»
المانيا	٢٥٤،٩٤٩	»
روسيا	١٨٩،٥١٤	»

وقد انسحبت اليابان من المؤتمر لانها تريد بكلمات صريحة لاتحتمل الشك أن تجعل قواتها البحريه مساوية لقوات بريطانيا او الولايات المتحدة . ومن هنا الخطر فى انسحاب اليابان لانه يعنى ان اليابان تريد الاستعداد للحرب اذ لا يمكن انها تنوى ان تنفق على زيادة اسطولها بما تبلغ حمولته نحو ٥٠٠٠٠٠ طن للعبث واللهو . والمتأمل لجغرافية الشرق الاقصى لا يستطيع ان يقول أية دولة تريد اليابان محاربتها . واذا كانت الحركات الحاضرة فى منشوكيا تدل على انها تنوى محاربة روسيا والصين معا فان تنمية الاسطول أو تضخمه يجب ان تدل على شيء آخر هو محاربة الولايات المتحدة وبريطانيا

المرأة التركية

للسيدة هدى شعراوى

لما كانت سياسة الأمة التركية القديمة قائمة فى بدئها على الفتح ، لم تلتفت الحكومة العثمانية لتعليم المرأة حتى عهد السلطان محمود المصلح ، الذى اتجهت فيه الافكار الى ترقية شأن المرأة ، فأنشئت مداس للبنات فظهر فى ميادين القلم سيدات بارعات فى الشعر والادب . ولما ازدادت المدارس فى عهد السلطان عبد الحميد ، بدأت نهضة المرأة تنشط شيئاً فشيئاً ، حتى جاءت حكومة الاتحاديين التى كان لها من بين النساء أنصار كثيرات اطردت مداس البنات فى الزيادة ، وعظم اقبالهن عليها ، فكثر عدد الكاتبات وتوجهن الى الاهتمام بالامور الاجتماعية والسياسية .

ولما قامت الحرب الكبري ، لعبت السيدات التركيات دوراً خطيراً بجانب الرجال ، فى الدفاع عن حرية بلادهم ، كما ملان فى الوقت نفسه الفراغ الذى كان يتركه الرجل فى الحقول والمصانع والمراكز والمستشفيات وفى مقدمة أولئك السيدات خالدة أديب الكاتبة الذائعة الصيت والوطنية الغيورة التى شغلت فى ذلك الحين مركز وزير المعارف بالنيابة .

وبالرغم من وجود شخصيات نابهة عديدة قبل الحرب ، فان التركيات كن كغيرهن من نساء الشرق ، خاضعات للعادات والتقاليد الشرقية ، التى كانت تنقص من حقوقهن ، وتحول دون الوصول الى المطالبة بها ، كالحجاب والعزلة .

ولما وضعت الحرب أوزارها ، وهيأ الله لتركيا منقذها العظيم كمال أتاتورك ، أخذ يبحث فى وجوه الاصلاح ، الواجبة لنهوض بلاده الى أوج الرقى والمدنية الحديثة ، فاتجه أولا الى المرأة ، يستنهض همتها فى خطبه الرنانة ، ونداءاته الحارة ، ويحثها على الدخول فى معترك الحياة ، لتقوم بقسطها بجانب الرجل ، فى خدمة الوطن الذى ساهمت فى إنقاذه . فأمر برفع الحجاب الذى كان يحول دون نشاطها ، وفتح أبواب التعليم العالى على مصراعيه أمامها ، كما فتح أبواب العمل فى الوظائف الحكومية وغيرها .

ولما كان التعليم بتركيا إلزمياً مجانيا فى كل أدواره وفروعه ، اكتظت الجامعات وكليات العلوم والفنون بالشبات ، وأنشأ لهن فى أنقرة معهداً خاصاً ، يتلقين فيه الى اللغات والعلوم ، الاشغال اليدوية ، والتدبير ، والزراعة والصناعات الخاصة بالمرأة . والالعاب الرياضية . وهذا المعهد هو معهد عصمت باشا . وقد كان لنا فى الربيع الماضى الحظ فى زيارته ، وكم أعجبنا بنظامه ، ومقدرة معلماته ، وجلهن تركيات أتممن تعليمهن فى أوربا . وهذا المعهد لايقل فى نظامه ومناهجه عن أمثاله فى أوربا

كان عدد تلميذات المدارس فى سنة ١٩٢٣ — ١٩٢٤ ٦٤٦١٤ وفى سنة ١٩٣٢ — ١٩٣٣ ارتفع هذ العدد الى ٢١٦١٤٥

وبالمقارنة بين هذين العددين ، تدركون مقدار اقبال البنات على التعليم ، ولاترتابون فى نتيجة هذا الاقبال ، الذى أدى الى مشاركة الجنس اللطيف للرجال ، فى كل مرافق الحياة

لما حل القانون السويسرى محل القانون التركى القديم ، ربحت التركية بحكمه حق المساواة فى

الميراث ومنع تعدد الزوجات ، مع احتفاظها ببعض مزايا الشريعة الاسلامية كحق التصرف المطلق في مالها . كما منحها القانون التركي فوق ذلك حق الاحتفاظ بجنسيتها .

وبفضل التعديلات التي أدخلت على المادة ٢ و ١٢ من قانون الجمهورية الجديد ، حافظت المرأة التركية على حقها في الحضانة ، ومنحت حق الولاية على أولادها اذا توفى زوجها ، رغم كل وصية يوصى بها قبل وفاته بحرمانها من هذا الحق . وكذلك لم تبخل عليها الحكومة التركية بحقوقها السياسية الكاملة . فأصبح للمرأة التركية سبع عشرة نائبة وفي مراكز القضاء خمس عشرة قاضية وفي أسرة المحاماة ثلاثون محامية وفي وظائف البوليس اثنتان وعشرون وفي جباية الأموال خمس مئة وفي الطب ثماني وعشرون طبيبة وثلاث مهندسات . وأول سيدة توظفت رئيسة لمصلحة الصحة العمومية في عاصمة تركيا هي السيدة بدرية راشد رئيسة الأطباء في مدينة أنقره . وواحدة برعت في علم الآثار . ومنهن من يشغلن مراكز العمدية في القرى . هذا الى اللاتي لاحصر لهن في الوظائف العمومية ، والمصالح التجارية ، والمعامل الصناعية .

ولقد سمعنا بقرب اندماج التركية في البحرية والحربية . وأن كثيرا منهن يرشحن أنفسهن للدخول في المدارس الحربية . ولما سئل كمال أتاتورك عن رأيه في هذا الموضوع أجاب قائلا : «ان الشجاعة التي تدفع المرأة لتقديم نفسها للحرب هي دون الشجاعة التي تدفعها لتقديم ولدها»

ولما كانت المرأة في تركيا تتمتع اليوم بكل حقوقها ، ولم يبق لها مطلب نسائي خاص ، فقد انحلت جمعية الاتحاد النسائي عقب مؤتمر استانبول ، الذي فاق المؤتمرات السابقة بما تجلى فيه من روح الاتحاد والتعاون بين جميع نساء الشرق والغرب ، ولما طلب الى كمال أتاتورك بقاء هذه الجمعية قال : « مادامت المرأة التركية قد ظفرت بكامل حقوقها وتعمل بجانب الرجل في كل مرافق الحياة فلا حكمة لبقاء جمعية خاصة بها »

تقدم العلوم والفنون

علوم الفراعنة

ألقى الدكتور حسن كمال محاضرة بقاعة يورت بالجامعة الامريكية عن هذا الموضوع وقد استهل المحاضر كلمته باظهار تأثير فيضان النيل السنوى فى الثقافة الفرعونية ونسب اليه كل ما توصل اليه أجدادنا من علم ومعرفة فقال ان ضرورة المحافظة على مجراه واستعمال مياهه علمت المصريين هندسة الأنهر وما يتبعها من مساحة الاراضى . ولما تفقدوا السماء وجدوا فى حركات نجومها واسطة للاستدلال بها على ميعاد فيضان هذا النهر العظيم . ومن ثم بدأ اهتمامهم بالفلك واتسعت دراستهم له . وبما أن الفيضان إذا طغى على الاراضى محا معالم الحقول تفنن القوم فى ابداع المقاييس ومعرفة المساحة . ولما زاد اهتمامهم بالفلاحة اقنع الفراعنة رعاياهم بان المحافظة على الحدود والاملاك الشخصية أمر مقدس تجب مراعاته ويتحتم احترامه . وبديهى أن كل زوال لفيضان كانت تعقبه مشاحنات ومضاربات ومن هنا نشأت ضرورة سن القوانين وتوقيع العقوبات . هكذا اجبر النيل سكان واديه على أن يضعوا لانفسهم اسس العلوم والقوانين والنظم السياسية

واستعمل النيل شريانا رئيسيا للتجارة الداخلية وأثر ذلك فى صناعة السفن وتقدمها . ثم ذكر المحاضر كيف أن مساحة الاراضى وكيل الحاصلات وتوزيعها اضطرتهم لمعرفة أصول الحساب من جمع وطرح وضرب وقسمة وكيف أن فن المعمار اجبرهم على معرفة الهندسة الفراغية . ثم عرج بعد ذلك على طريقة ابتكار الخط الهيروغليفى ثم اختزاله

بعد ذلك قسم مباحثه إلى أربعة أقسام رئيسية الاول خاص بتقسيم الزمن والثانى بالزراعة والثالث بالطب والرابع بالهندسة والحساب

فما قاله عن تقسيم الزمن يرجع فى نشأته الى أصول فلسفية متعددة . منها أن الانسان منذ نشأته فى هذا العالم وشعوره بالوجود وتقدمه فى السن ووفاته وميراثه بدأ يفكر فى الوقت ويتكهن بحقيقته . وبعد ذلك اورد فضل قدماء المصريين فى معرفة السنة الشمسية ذات ال ٣٦٥ يوم وتقسيمها الى ثلاثة فصول زراعية وتجزئة كل فصل إلى أربعة أشهر وكل شهر الى ثلاثين يوما واضافة خمسة أيام فى آخر السنة كى يصير عدد أيام السنة ٣٦٥ يوما . ثم طريقة تقسيم السماء إلى عدة بروج وتقسيم الليل الى اثنى عشرة ساعة بحركات النجوم ومواضعها وتجزئة النهار الى اثنى عشرة ساعة

بالساعات الشمسية والمزاول . ثم وصف طريقة ابتكارهم للساعات المائية

بعد ذلك تناول موضوع الزراعة وبين طريقة تقسيم الاراضى الى حياض ثم انشاء خزان الماء فى الفيوم فى القرن التاسع عشرق . م تقريبا ثم طريقة شق الارض وفلقها بالمحراث والفأس

ثم عرج على الطب المصري القديم وهذا الموضوع للاسف لايزال فاقد القيمة فى هذا القطر ولا يعار الاهتمام اللازم له فكل جامعات اوربا بها قسم خاص بتاريخ الطب يتخصص فيه الاطباء بعد نيلهم شهاداتهم الجامعية . اما جامعتنا التى تحوي اختصاصات عدة فى الطب كالطب والجراحة وأمراض المناطق الحارة والصحة العامة والرمد فانها لا تزال مفتقرة الى قسم تاريخ الطب مع أن الطب والجراحة نشأ فى مصر وترعرعا فيه ومنه انتشرا الى سائر أنحاء العالم .وكل جامعات الدنيا الراقية تدرس هذا وكيفية حصوله وجامعتنا لا تزال جامدة من هذه الجهة

خذ مثلا ما ذكره الدكتور حسن كمال عن كيفية معرفة المصريين للقلب والنبض والاوعية وعلاقتها بعضها ببعض وعن نظريات هؤلاء القوم فى أمراض الأوعية مما ينطبق تماما على علومنا الحديثة وعن كيفية حرصهم فى رد الشباب لمن تدحرج إلى الشيخوخة وعن كتبهم الطبية المتعددة وابتكاراتهم لزيت الخروع وقشر الرمان والحنظل وكبريتات النحاس والأفيون وغيرها

أما الهندسة والحساب فذكر شيئا عنها وارداً بقرطاس « رند » المحفوظ بدار تحف لندن يحوي العجب والعجاب وأى عجب بعد أسئلة وأجوبة فى هذين العلمين يخيل للسامع انها من أسئلة امتحان شهادة الدراسة الثانوية . خذ مثلا ما يأتى —

١ — ما هو الكسر الذى يضاف الى ثلثين زائد ١ على ١٥ فيصير المجموع واحداً صحيحا ؟
« ٢ » قسم ستة أرغفة على عشرة رجال « ٣ » هرم ضلعه ١٤٠ ذراع ونسبة ميله ٥ وربع قبضة فما هو ارتفاعه « ٤ » ما مساحة دائرة قطرها كذا «٥» مامساحة مثلث قاعدته كذا وارتفاعه كذا

بعد ذلك تكلم على التعاليم الدينية وأظهر بعضا من معانيها السامية فذكر عبارات كان يقولها الميت فى اعتقادهم أمام الآلهة فى الآخرة هذا بعضها —

لم استعمل قسوة مع انسان لم أسرق لم أقتل . لم أخسر الميزان لم أرتكب غشا . لم أترك الاراضى الزراعية بورا . لم أوقظ فتنة . لم أغتب أحدا . لم أترك نفسى ضحية الغضب . لم أرتكب ذنبا ضد العفة . لم أكن غليظ الخلق . لم أتصنع الصمم عند سماع الحق والعدل . لم أشعل نار فتنة . لم أسرع فى إصدار حكم . لم ألوث ماء . لم أتكبر . لم أسع لترقية . لم أزد فى ثروتي إلا بالحلال . لم أقدر فى إلهى . . . وغير ذلك مما نسميه نحن الآن « مكارم الاخلاق »

بهذه الطريقة فسر لنا الدكتور حسن كمال بعضا من تراث أجدادنا العلمى وهو فخر لايجاوزه فخر وشرف لايعلوه شرف . هو على قوله ظل سرمدي لعهد ذهبي

رحلات عالمية لطلبة المدارس

لا يعجب القارىء إذا رأى من وقت إلى آخر كلمة عن هذه الرحلات التى أصبحت الشغل الشاغل لرجال التربية فصاروا ينظرون اليها كانها جزء من التربية ، خصوصا بعد أن بينا اشتداد هذا التيار وتوقعنا زيادته على ممر الايام فى بعض أعدادنا الماضية . وأمامنا الآن وصف لعدة رحلات قام بها طلبة فى ناحية من نواحى المعمورة الى جهة قاصية عن بلادهم ، وأمامنا أيضا وصف طائفة أخرى من الرحلات المزمع القيام بها فى القريب العاجل . غير أننا نكتفى بنشر القليل منها مع مراعاة الايجاز . والغرض من موالاة نشر هذه الاخبار إيقاف المعلمين على مبادىء التربية الحديثة التى تؤكد لنا ان المدرسة وحدها لا تربى شابا والكتب وحدها لا تربى نفساً ، كما أن السياحة ضرب من الوسائل الكثيرة التى تربى الناشئة فى غير قاعات الدرس . وهناك أمر آخر جدير بالاعتبار يجب ألا يفوتنا إدراكه ، وهو أن تشجيع هذه الرحلات الدولية مما يزيد حسن التفاهم بين الأمم ويحكم أواصر العلائق بين أهلها ، مهما تباينت مطامعهم السياسية أو اختلفت أصولهم وأجناسهم . ولعل الوصول إلى هذا الغرض عن طريق الشبيبة لا يخلو من الحكمة ، فان بث روح المودة والتفاهم فى نفوس الناشئين خير ضمان لبقائها قوية فى المستقبل

وإذا تتبعنا حركة القومية فى التعليم مما نوهنا عنه فى مقالات سبقت ، ألفينا حركة الرحلات مضادة لحركة القومية أو على الأقل مساعدة على تخفيف وطأتها . فالكتب التاريخية والجغرافية التى تستعمل فى ألمانيا «خصوصا قبل الحرب العظمى» بما فيها من الأكاذيب عن فرنسا والدول الأخرى ، والكتب الفرنسية المفعمة . بالأضاليل عن ألمانيا ، كلها تصبح عديمة التأثير عند عدد كبير من الطلبة بعد اتساع نطاق الرحلات الدولية ، ولو أن هذه الكتب لم توضع إلا ترويجا للدعاية السياسيه

من هذه الرحلات رحلة قام بها ٤٠٠ صبى أمريكى فى العطلة الصيفية الماضية قاصدين إلى دانيمارك وأسوج ونروج فقد تمكنوا فى أثناء زيارتهم إلى تلك الأقطار الشمالية الجميلة من مشاهدة كل ما هو حرى بالرؤية واشتركوا فى حفلات عديدة للالعاب الرياضية . ولم يقم أحد بدفع نفقات هذه الرحلة ، بل كانت كلها على نفقة الطلبة أنفسهم . إلا أن أصحاب الباخرة قبلوا منهم مبالغ ضئيلة فى مقابل تكليفهم القيام ببعض الاعمال التى تحتاج اليها باخرتهم . ومن أهم الرحلات الحديثة سفر عدد كبير من طلبة المعلمين فى أمريكا ، ومعلمى المدارس الابتدائية والثانوية إلى روسيا لدرس نظم التعليم التى ابتكرتها حكومة روسيا السوفيتية ، وقد نشرنا مقالة فى العدد الثانى من هذه السنة ، بقلم أحد الاساتذة فى هذا الشأن . ومن الرحلات التى ستقام فى أواخر

هذه السنة المكتبية رحلة تعدها كلية المعلمين فى نيويورك لعدد من الطلبة الذين يحسنون الالمانية لزيارة مدارس ألمانيا والوقوف على حالتها ودرس التحسينات التى أدخلت عليها بعد الحرب العظمى

وهذا نظام آخر لتبادل هذه الزيارات بين طلبة الامم المختلفة ، وهو أن تتكفل حكومة بالاتفاق على عدد من الطلبة من أمة أخرى ، فى مقابل أن تقوم هذه الحكومة الاخيرة بالاتفاق على طلبة من طلبة الامة الاولى . مثال ذلك أن انجلترا تتفق على ٥٠ طالباً فرنسيا يرحلون عن بلادهم فرنسا فى نهاية التعليم الابتدائى ، فتدبر لهم انجلترا أماكن فى أسر انكليزية يعيشون فيها ، ثم تلحقهم بالمدارس الثانوية ، وتتولى مراقبتهم والاتفاق عليهم . وهكذا تتولى حكومة فرنسا الاتفاق على ٥٠ طالباً انجليزيا بالكيفية نفسها

طريقة المبادلة هذه آخذة فى الانتشار بين جميع ممالك أوروبا وأميركا ، لا فيما يختص بالطلبة فقط بل فيما يتعلق بالمعلمين أيضا . وربما كانت ولايات أميركا المتحدة أكبر البلدان قسطا فى هذه الرحلات وأشدها اهتماما بالطلبة الاجانب . ولا غرابة إذا أعدت لهم فى بلادها الاندية الغنية الجيلة توفيرا لجميع وسائل الراحة لهم . ونذكر بهذه المناسبة أنه فى احدى الثورات التى اندلع لهيبها فى الصين ، نال الجالية الاميركية هناك بعض الخسائر ، فبدلا من أن تطلب حكومة أميركا التعويض من الصين نقداً ، اكتفت بأن طلبت من حكومة الصين أن تبعث اليها عددا من طلبتها كل عام لتلقى العلوم فى جامعات أميركا ، على أن تقوم حكومة الصين بهذه النفقات بما يساوى مبلغ التعويض

هل السكر من السموم

السكر الابيض المتبلور الذى نستعمله فى تحلية الشاى أو القهوة أو المربيات أو الحلوي على وجه عام يمكن أن يعد من السموم التى تعرض الجسم لخطر الامراض . وذلك لانه خلو من المعادن التى يحتاج لها الجسم والتى تبقى فى العسل الاسود . واذا أكثر الاطفال من تناول الحلوى المصنوعة من السكر الابيض منعهم ذلك من اشتهاء الدهن وهو ضرورى لبنيتهم كما هو ضرورى لتقوية الجسم على عدوى الامراض . وخلو السكر من المعادن يضعف النمو ويؤخره كما يسقط الاسنان

والسكر من هذه النواحى لا يعد غذاء وانما هو مادة كيماوية . وقد كان الى قبل بضع قرون يباع بالصيدليات كدواء وليس كغذاء . وتحسن الحكومات إذا فرضت عليه ضريبة عالية تنقص من استهلاكه . كما يحسن كل انسان إذا نقص من مقدار ما يأكله منه وخاصة الاطفال الذين يجب أن تصنع لهم الحلوى من العسل الاسود لاحتوائه على مقدار كبير من المعادن

كتب الشهر الجديدة

الوقت من ذهب	للدكتور أحمد فريد رفاعى
قصة الدكتور ابراهيم	للدكتور نيتل (بالانجليزية)
ديوان الاسكندريه	للاستاذ على محمد البحراوى
محمد	للاستاذ توفيق الحكيم
البراجماتزم	للاستاذ يعقوب فام
البدائع	للاستاذ زكي مبارك
الشركات	للاستاذ حسنى الشنتناوي
وحى الايام	للاستاذ محمود احمد البطاح
بطولة الشباب	للاستاذ على الغزالى الجبيلى
مداعبات عفريت	للاستاذ فهيم حبشي

هذه الكتب تتفاوت مادة ومعنى فنها الخطير ومنها التافه . وواحد من هذه الكتب قد صدر بالانجليزية ومؤلفه سويسرى ألمانى هو الدكتور نيتل . ويرى القراء فى هذا العدد تلخيصا حسنا لهذه القصة بقلم الآنسة الأديبة أمينة السعيد . وقد حظينا بلقاء هذا المؤلف وهو يقيم منذ سنوات فى عين شمس . وهو يحب مصر ويغار على ترقية الفلاحين . وقد ألقى أخيرا محاضرة عن مشروع لتعليمهم يقوم على ارسال المتاحف الدورية التى تعرض عليهم الافلام السينمائية ونماذج للعمليات الكيماوية أو الفسيولوجية أو الزراعية تعرض علهم فيتعلمون وكأنهم يتفرجون . وفى غضون ذلك تلقى عليهم الدروس . والمشروع من الأفكار الجديدة التى يسهل علينا أن نعمل بها

أكثر مما يسهل على أوربا لاننا هنا خلو من المدارس المنظمة المنتشرة فى القرى والمدن الاوربية. ونظامها وكثرتها يمنعان تنفيذ مثل هذا المشروع . أما عندنا فالتربة لاتزال بكرا



الدكتور فريد رفاعى

ولنعد الى الكتب بعد هذا الاستطراد . فالكتاب الاول للدكتور فريد رفاعي « الوقت من ذهب » هو أول حلقة من سلسلة نرجو ألا تنقطع . وهو بدعة طريفة عسى أن تنتشر بل عسى أن يقلدها المقلدون . فانه يريد أن يجمع أحسن ما كتبه كتاب العرب فى مجلدات صغيرة حسنة الطبع والتغليف بحيث تسهل فى التناول كما تتحمل الابتذال . والفكرة لا تستحق الاطراء فقط بل تستحق التقليد

ولو أن ما كتبه العرب فى أحسن أيامهم منتشر بين أيدينا فى مثل هذا الكتاب الجميل الصغير لكان قدرنا للثقافة العربية أكبر مما هو الان . إذ لا يجب ألا ننسى أن اخراج الآداب العربية فى كتب زرية الورق والطبع ينقل الى أذهاننا صورة غير حسنة لهذه الآداب

وهذا المجلد الأول على صغره يحتوى ٣٤٩ صفحة شرح المؤلف الفكرة التى قصد اليها من تأليف هذه السلسلة فى الصفحات الاولى منها ثم اختار مقتبسات حسنة من أدب العرب مثل وصية عبد الله بن شداد ورسالتى أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وقصة أبى حيان التوحيدى ورسالة البصرى فى صفة الامام العادل الى غير ذلك . والمؤلف يقدم المختارات ويعقب عليها فى لغة بليغة وأسلوب رائع


الاستاذ على محمد البحراوى

أما « ديوان الاسكندرية » فيه ثمرة الحركة الادبية فى الاسكندرية . ويرى القراء فى هذا العدد مقالا للاستاذ البحراوى يعرض فيه آراءه عن علاقة الشعر بالفلسفة . والاستاذ البحراوى هو الذي جمع أشعار هذا الديوان وكتب لها المقدمة . ويبلغ عدد الشعراء الذين اختير من قصائدهم لهذا الديوان ١٣ والاشعار تتفاوت فى جميع الاعتبارات تقريبا فمنها المتوسط ومنها العالي

وكتاب الاستاذ توفيق الحكيم لا يختلف عن سائر مؤلفاته من حيث القدرة الفائقة على تأليف الدرامة أو الموقف الدرامى من الحوادث المألوفة . وقد تناول موضوعا خطيرا كان يخشى عليه أصدقاؤه من العثور فيه . وأنها

لظاهرة عجيبة أن يتفق كل من الدكتور طه حسين والدكتور هيكل والاستاذ توفيق الحكيم على التأليف عن النبى . ونرجو أن يكون لهذه الظاهرة نتيجة حسنة فى نهضتنا الادبية التى خلت منذ نشأتها تقريبا من النزعة الدينية بل هى جنحت أحيانا الي ضد هذه النزعة . ونحن نود لو أن أحد الكتاب الاقباط عمد الي المسيح فترجم بحياته أيضا . ولسنا نظن أحدا يتهمه بالتبشير بعد هذه المؤلفات الثلاثة . ومن حق الشباب الاقباط أن يروا ترجمة أدبية لزعيم المسيحية كما يجد الشاب المسلم . ونحن نقول بكل اخلاص أننا نثنى على هذه النزعة ولا نجد فيها غير الخير لشباننا



الاستاذ يعقوب فام

وكتاب البراجماتزم أو فلسفة الذرائع يعرف قراء هذه المجلة مؤلفه الاستاذ يعقوب فام . وهو كاتب مبين يستطيع ايضاح المشكل فى نظريات التعليم والفلسفة بلغة بسيطة بن أحيانا يبالغ المؤلف في بساطتها . والبراجماتزم هي فلسفة وليم جيمس وكنا نؤثر أن تسمي « الوسيلية » لان المقصود منها أن الحقائق انما هى وسائل لفهم الدنيا . وهى ثمرة أنبتتها البيئة الامريكية الحديثة

وكتاب « البدائع » للدكتور زكى مبارك هو مجموعة مقالات كتبت جميعها أو معظمها . وهى تتفاوت في القيمة بعضها جليل ممتع و بعضها تافه كتب فى شئون لا تستحق التخليد فى كتاب ولكن مقالاته عن لغة العرب قبل الاسلام . والتعليم في فرنسا . وكيف عرفت الشيخ السيد المرصفى . والتوراة فى باريس . وكيف يساس الطلبة فى المدارس الفرنسية . وغير هذا من المقالات يستحق الدرس والتأمل

وكان يحسن المؤلف لو جمع المتجانس من مقالاته فى مجلد على حدة . فهنا مثلا مجموعة من المقالات التى تتصل بنقد التعليم لو جمعت على حدة لكانت كتابا فريدا . ومجموعة أخرى فى الخواطر الادبية المصرية . وهى تستحق مجلدا آخر

وكتاب « الشركات » للاستاذ حسنى الشنتناوى من الكتب التى يجب أن يقتنيها جميع المشتغلين بالشئون الاقتصادية . وقد شرح فيه القوانين التى تتعلق بهذا الموضوع ونقل كذلك الأحكام التى أصبح لها قوة القوانين

و « وحى الايام » مجموعة مقالات نشرت بالجرائد والمجلات وهى تتناول النقد فى الأدب العصرى . وللمؤلف آراء ربما لايوافقه عليها كثير وفيه مايمكن أن يعد تحاملا على بعض الادباء . وقد وعد بأن يتابع التأليف لهذه المجموعة فى مجلدات أخرى فعسى أن يكون أكثر انصافا . وهو يحسن كثيرا اذا جعل الثقافة العلمية أساسا للنقد الادبى



الدكتور زكى مبارك

و « بطولة الشباب » هو كتاب جميل فى ترجمة الشهيد محمد عبدالحكيم الجراحى . وقدجمع المؤلف الى ترجمته ماقيل فيه من المراثى مع مقدمات قصيرة عن أصل النهضة كان يمكن الاستغناء عنها وقصر الكتاب على الشهيد . وهذا المجهود الشريف الذى قام به المؤلف يستحق عليه أجل الثناء

و « مداعبات عفريت » هو قصص وتعليقات قصيرة فكاهية كتب مقدمتها الاستاذ فكرى أباظه وهى جميعها مايروح عن النفس ويسرى عنها سأم الجد

حديث الأدب والأدباء

فى الأداء

من مقال لسلامه موسى فى البلاغ

كنت أقرأ نقداً أدبياً فى الانجليزية فصادفت هذه الجملة :

« كان دكنز موطراً أدبيا فى العبقرية فاذا استحث واستعجل أخرج من ماسورة العادم دخاناً أسود من الهذيان »

والقارىء العربى الذى تفجأه هذه الجمل سيدهش لاول وهلة . فاذا أعاد تلاوتها ضحك من غرابتها . فاذا تأمل لم يسعه إلا الاعتراف بان الكاتب قد أدى عن معناه أحسن أداء وأحدثه بألفاظ مستخرجة من البيئة الحاضرة . يريد أن يقول ان دكنز القصصى المعروف كان فى قوته كأنه الموطر الذى يدفع المركبات الضخمة . وكما أننا عندما نسوق الاتومبيل على أقصى سرعته يخرج منه دخان كثيف من الخلف ، كذلك كان دكنز يحسن الاداء ويجيد ولكنه إذا استعجله الناشر فأسرع فى الكتابة كتب هذيانا كثيرا لا يعد من الادب الحسن

وهذا تعبير حسن . فان الادب الحى يجب أن يستمد حياته من البيئة المحيطة ويأخذ بألفاظها ويتسامى بمعانيها وهو حين يبحث عن ألفاظ قديمة انما ينقل صوراً حديثة بصيغ قديمة . وانى أستطيع أن أجعل القارىء يفهمنى حين اعتمد فيما استعمله من مجازات أو استعارات على الموطر والطاقة الكهربائية والدينام والفرملة ومروحة الطائرة والريون والمورفين والكلوروفورم . ولست أشك فى أن القارىء سيستغرب هذه الالفاظ لاول وهلة ولكنه اذا اعتادها والفها عرف قيمتها وأدرك أنها تؤدى لنا من المعانى الدقيقة أكثر مما تؤديه العبارات القديمة التى نشأت فى بيئة قديمة ليست لنا بها صلة . فان الكاتب الذي يقول أنه يلقى الحبل على الغارب يحتاج الى تفسير طويل لهذه الكلمات حتى يفهمها الطفل الذى يعيش فى الاسكندرية أو القاهرة . لان الجمل لم يعد وسيلة النقل فى شوارعنا كما كان قبل الف سنة . ولذلك نحن أحوج الى أن نعرف وان نستعمل فى تعابيرنا الآلات والعدد التى يتألف منها موطر الاتومبيل منا الى ان نعرف ونستعمل ألفاظ الرحل والغارب والهودج والغبيط

واللغة يجب مادامت تعيش فى بيئة معينة أن تكون بعض هذه البيئة تتأثر منها كما تؤثر فيها وللالفاظ القديمه فائدتها فى التاريخ أى التاريخ القديم
أما التاريخ الحديث فيحتاج الى الفاظ حديثة

الطائرة والجمل فى الحجاز

من مقال لسلامه موسي فى البلاغ

وقف الاستاذ على الجارم فى المجمع اللغوى يخطب فى « تجديد » اللغة فتلا قصيدة طويلة وصف فيها النوق يحدوها الحادى فقال

تحدى بها اليعملات الكوم ان لغبت فلا تحس بانضاء ولا لغب
تهتز فوق بحار الآل راقصة والنصب للنيب يجلو كربة النصب
لم تعرف الصوت الا صوت مرتجز كأن فى فيه مزماراً من القصب

وقد وقفت عند هذه الأبيات أتأمل وجه التجديد فيها فلم أجد شيئاً لان وصف الناقة يحدوها الحادى قد تكرر حتى ليمكن المنقب فى الكتب العربية أن يعثر على خمسين أو ستين الف بيت فى هذا المعنى بأقل مجهود . والاستاذ على الجارم يعرف ذلك ولكنه لا يباليه لانه يفهم التجديد أو النهضة على أنها أحياء لهذه المعانى القديمة التى أصبحت لاتكاد تتصل بنا بأقل اتصال . وانا أستطيع أن أقسم انه ليس بين أعضاء هذا المجمع الذين سمعوه واحد ركب الناقة أو حداها وأغلب الظن أنهم جميعهم قد ركبوا القطار والباخرة وبعضهم ركب الطائرة . وأغلب الظن أيضاً أنهم لا يستجملون مزمار القصب وانما يحبون الاوركسترا المنظمة

ولكن مما لا شك فيه أيضا أن معظم الاعضاء فى هذا المجمع يعتقد أن اللغة تنهض باحياء الميت من الفاظها . كأن الموت لم يكن حقاً على هذه الألفاظ أو كأنها لم تمت الا مداعبة أو مخاتلة لنا . ولكن الالفاظ أدوات للتفكير وموتها برهان على أنها لم تصلح لان تؤدى المهمة التى انتدبت لها أو على انها فقدت مدلولها بتغير فى الزمان أو المكان . ونحن فى القاهرة مثلا لا نركب الجمل ولا نحدوه ولا نرى الآل ولا نسمع الارتجاز ولا نرى الزامر . ولكننا نركب الاتومبيل ونعرف الموطر والفرملة والشاسي والكوتشوك وما الى ذلك . فاذا جاز لشاعر أن يخاطبنا فعليه أن يستخرج من أمثال هذه الألفاظ المجاز الذى يطابق لمعانيه حتى نفهمه

ولكنى ارانى قد اضعت الوقت عبثاً . ويجب أن انتقل من هذا الموضوع الذى لايخضع للمنطق

أو العقل الى ما يسر النفس من التجديد الحقيقي كما يجب ان يفهمه الشاب المصري . فان هذا الجمل او هذه الناقة التي يتغنى بها الاستاذ على الجارم لاعضاء المجمع قد انحطت مكانتهما فى جزيرة العرب او أوشكت على ذلك . والسبب فى هذا الانحطاط هو التجديد المصرى على أيدى الطائرين المصريين الذين يرشدهم ويربيهم المصرى المجدد محمد طلعت حرب باشا

فالدنيا تسير بل تجرى . ونحن نتعلم الطيرن ونعلمه للعرب فى جزيرتهم ونحض شبابنا على أن يقفزوا فوق السحاب . وأي شيء ابعث للسرور فى نفس الشاب المصرى من أن يعرف ان أبناء بلاده قد استبدلوا بحداء الناقة بين مكة والمدينة أزيزاً موسيقياً للطائرات المصرية . وانى لا تخيل الطيار أحمد اسماعيل بوجهه المصرى المعروف وجسمه الرياضى النحيف فوق طائرته يرى السراب فى صحراء العرب فامتلىء فخراً بل كبرا وأتمنى لو ينبعث شاعر الى وصف هذا الطائر الميمون . بل أتمنى أن أرى اليوم الذى تطير فيه لطفية النادى فوق الارض المقدسة فيجد فيها أبناء الجزيرة مثالا عمليا مصريا لاراء قاسم أمين وبرهانا على نهضتنا

وهذا هو ما أفهمه من النهضة المصرية فانها بعيدة كل البعد عن أولئك الذين يحسبون أنه يجب علينا أن نسمى الترام جمازاً من أعضاء المجمع اللغوي

مصر فى المعرض

من مقال للاستاذ احمد حسن الزيات فى الرسالة

أليس من حسن توفيق الله أن يجلس المفاوض المصرى فى قصر الزعفران ، ومن ورائه مصر العامله العاملة محشودة كلها بسودانها وصعيدها وريفها فى المعرض ! تشدد قوته بروح النهضة ، وتؤيد حجته بدليل الحس ، وتسند هيبته بروعة الواقع ؟

أليس من جميل عون الله أن يتألف من ذات مصر ومعناها على هذا النحو الذى تراه فى المعرض قياس عجيب الانتاج ، وقصيد قدسى الالهام ، وخطاب سحرى البيان ، ودفاع قوى الاثر ، فى الوقت الذى بثّ فيه اللورد لويد عقاربه هنا وهناك ، يلسعون بالنمائم ، ويدبون بالأراجيف ، ويقسمون رأيهم فى الأمر على أن مصر بطبيعة ضعفها متخلفة لا تلحق وتابعة لا تستقل ؟ !

تعالوا يا طلائع الاستعمار ، وصنائع الامتيازات ، وثعالب الكرمة ! هذه هى مصر الحقيقية قد عرضت عقلها ويدها فى ستين فداناً من الأرض لتيسر لكم وسيلة الحكم ، وتقصر عليكم مدى النظر ، فلطالما خدعكم عن حقيقتها مغرور يريد الحكم ، أو منهوم يرغب فى المال ، أو محروم طلب الوظيفة .

زوروا المعرض الزراعى الصناعى تجدوا مصر التى لا تقرأونها فى صحيفة ، ولا تسمعونها فى خطبة ، ولا تبصرونها فى مظاهرة ، ولا تقابلونها فى ملاهى ، ولا تحادثونها فى حزب ! هى تجرى مع الزمن فى سكون ، وتعمل مع الطبيعة فى صمت ، وتتشقق عن ثمار النبوغ كما تتشقق الأكمام عن أريج العطر فى هدوء الغسق !

زوروا أيها المفاوضون عن الحليفة المتجنية معرض الجزيرة قبل أن تدخلوا سراي العباسية تلمسوا فى كل ناحية من نواحى النشاط الصناعى ألف دليل ودليلا على نضوجنا المدنى ، لأن الانتاج الزراعى إذا رجع إلى عمل الله وفطرته ، فان الانتاج الصناعى مرجعه إلى فكرة الانسان وقدرته وقد عدونا ذلك الطور منذ سنين ، وأصبحنا نصرف عمل الطبيعة ، ونستخدم ثروة الأرض ونساهم بحذق فى ترفيه الانسان

بين الهرم والنيل شاهدى القرون وعينى الاسلاف ، احتشدت مصر الحديثة حكومة وأمة ، تقدم إلى أمسها الحساب الذى يبرىء الذمة ، وإلى يومها العمل الذى يحدد الطريق ، والى غدها الأمل الذى يحدد الغاية !

الزارع والصانع والتاجر والعالم والأديب والموظف قد أثبتوا بهذا العرض الموفق فى اخلاص غير غال ولا مفتعل ، أن مصر التى تسير فى مؤخرة الدول بسياسة الكلام ، تجرى فى مقدمة الشعوب بسياسة العمل !

ودلالة ذلك أن بين الأمة وقادتها حجاباً من الجهل والعزلة لا ينفذ منه الشعاع ، ولا تنعكس عليه الروح ولا ترتسم فيه مقاييس التقدم ! على أن أكثرنا لا يزيد علمه بهذا البلد المظلوم على علم هؤلاء القادة ، فقد كنا نرى فى المعروضات الأهلية والحكومية نفائس الصناعة ودقائق الفن ، من ضروب اللباس والأثاث والآنية والزينة ، فيداخلنا الشك فى أنها مصريه ! ولكنا نري بجانبها الآلة تدور ، والصانع يعمل ، والمنتج يخرج كالمعروض فى دقته وأناقته ، فيستولى على المرء شعور قوي غريب ، فيه الخجل من سوء الظن ، وفيه اللذة من دهشة المفاجأة ، وفيه الاقتناع بصحة النهضة ، وفيه الاطمئنان على سلامة الوطن . هذا الانتاج الفاخر هو الذى يقدمه اليك التاجر الأوربى فى بيوت البيع الكبيرة بلسانه المعسول وغلافه المقبول وكلمته الواحدة وسمته المزورة ، فتشتريه بالثمن الغالى على أنه وارد من وراء البحر ، قد تجشم أكلاف النقل ، وتكلف رسوم الجرك ، وتكبد أضرار الخساره ، وهو مصرى اشتراه الاوربى بالغبن وباعه بالخديعة ، وحرم الصانع المصرى المسكين أجر العمل بسرقته القيمة ومجد الصنعة بسرقته النسبة . وعلة ذلك كله أن المنتج المصري قد جعل الكذب جزءاً من رأس المال ، وأن المستهلك المصري قد جعل المساومة شطراً من الثمن ، فكان لا بد من هذا الوسيط الأجنبي بينهما ليستر بخداعه كذب المنتج ويبطل بمهارته مساومة المستهلك !

ابريل سنة ١٩٣٦

١ — الاشتراك فى المجلة الجديدة الشهرية فى مصر والسودان لمدة عام هو ٤٠ قرشا و ٢٠ قرشا لستة أشهر . وفى الخارج ٥٥ قرشا فى العام

٢ — الاشتراك فى المجلة الجديدة الاسبوعية فى مصر والسودان هو ٢٥ قرشا فى العام و ١٣ قرشا لستة أشهر . وفى الخارج ٥٠ قرشا فى العام و٢٥ قرشا لستة اشهر

٣ ـ الاشتراك فى المجلة الجديدة (الشهرية والاسبوعية) فى مصر والسودان هو ٦٠ قرشا فى العام و٣٠ قرشا لستة أشهر . وفى الخارج مائة قرش فى العام و٥٠ قرشا لستة أشهر

تصدر المجلة الجديدة ١٢ عددا سنويا

وتهدي الي قرائها كتابا بين كبيرين

١٢ شارع نوبار (مكتب بريد الدواوين بمصر)



صاحب الدولة على ماهر باشا رئيس الوزارة

باليمين : الزعيم هتلر الذي جحد معاهدتى فرساى ولوكارنو احتجاجا على المحالفة الروسية الفرنسية

فى أسفل : الدكتور اكنر الذى يقود البلون الجديد هندنبورج





بأعلى : البلون الالمانى الجديد هندنبورج



باليمين : المسيو فنيزيلوس السياسى اليونانى
الذى توفى فى الشهر الماضى